-الحضارة المصرية القديمة:

أسامة بقار: جامعة محمد خيضر-بسكرة-.

محاضرة موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك/علوم إنسانية.

-1توطئة عامة:

تُعد الحضارة الفرعونية أحد أقدم وأشهر الحضارات الإنسانية والتي تمركزت على طول المجرى السفلي لنهر النيل وبالتحديد فيما يعرف اليوم باسم "مصر" الواقعة في الشمال الشرقي لقارة إفريقيا: يحدها شمالا البحر المتوسط، جنوبا السودان، شرقا فلسطين والبحر الأحمر وغربا ليبيا. في الواقع، إن الحضارة المصرية القديمة هي امتداد لثقافة مصر السائدة خلال فترة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، لتتشكل فعليا نتيجة عملية ادماجية برزت منذ حوالي 3150 ق.م مع التوحيد السياسي لمصر العليا في الجنوب ومصر السفلى في الشمال على يد الملك "مينا" الذي غالبا مع يتم مطابقته مع "نارمر"، لتستمر في الحياة والعطاء لمدة ثلاثة آلاف سنة.

مثلما شهدت الحضارة الفرعونية خلال هذه الفترة الطويلة مراحل استقرار سياسي وازدهار حضاري، فإن هنالك فترات انتقالية تميزت بالاضطرابات والانقسام السياسي، لتعود وتصل لأوج ازدهارها خلال فترة الدولة المصرية الحديثة ثم دخلت في مرحلة أفول بطئ. أدت تلك القوة التي امتلكتها الحضارة المصرية في عهد الدولة الحديثة إلى تشكل "الإمبراطورية المصرية" التي وصل مجالها إلى بلاد النوبة وإلى أجزاء هامة من الشرق الأدنى. في المقابل، تعرضت مصر القديمة خلال مسيرتها التاريخية إلى غزو واحتلال من قبل عديد القوى الأجنبية: الهكسوس، شعوب البحر، الليبيون، النوبيون، الآشوريين، الفرس الأخمينيين والمقدونيين تحت قيادة "الإسكندر الأكبر" ما نقل مصر لحكم البطالمة (الإغريق) لمدة ثلاثة قرون، ثم انتقلت مصر للحكم الروماني منذ 30 ق.م أين أسقط "أوكتافيوس" حكم "كليوباترا السابعة"، فتحولت مصر لمقاطعة رومانية-بيزنطية من 30 ق.م حتى 641م.

إن أحد العوامل الهامة في انبثاق وعظمة هذه الحضارة هو مقدرة إنسانها على التكيف مع حوض نهر النيل، فهذا النهر الشهير مثلما ساعد على الاستقطاب البشري والازدهار الزراعي، فإن الفيضانات المتوقعة في كل سنة قد فرضت

تمثال أبو الهول وهرم خفرع بالجيزة: أيقونتي الحضارة الفرعونية

أهرامات الجيزة: أحد الرموز الأكثر شهرة للحضارة المصرية

عواصم مصر القديمة

1-تنيس (قبل 2950 ق.م).
2-ممفيس (2950-2180 ق.م) من الأسرة 1 إلى 8.
3-هيركليوبوليس (2180-2060 ق.م): الأسرة 9-10.
4-طيبة (الأقصر) 2135-1985 ق.م: الأسرة 11.
5-لتجتاوي (1985-1785 ق.م): الأسرة 12.
6-طيبة (1785-1650 ق.م): الأسرة 13.
7-خاسوت (سخا) (1715-1650 ق.م): الأسرة 14.
8-أواريس (1650-1530 ق.م): الأسرة 15 (الهكسوس).
9-طيبة (1332-1279 ق.م): الأسرة 17-18.
10-أخيتاتون (1353-1332 ق.م): إخناتون (الأسرة 18).

تحديات على المصري القديم الذي كان مطالبا بأن يحمي مدنه منها وأن يطور تقنيات الري لتحقيق فائض في الانتاج الزراعي، وهو ما كانت له انعكاسات على زيادة كثافة السكان، التنمية الاجتماعية والثقافية. لقد منح كذلك، هذا الفائض الزراعي للإدارة وسائل تمويل الاستغلال المعدني في الحوض والنواحي المجاورة للصحراء، كما سمح التطور السريع لنظام الكتابة، تنظيم المنشآت الجماعية والمشاريع الزراعية، العلاقات التجارية مع الدول المجاورة والجيش القوي، لمصر من أن تفرض سيطرتها في المنطقة. إلى جانب نهر النيل، فإن ملوك مصر الأقوياء قد استطاعوا التحكم في مختلف الأنشطة عبر عدة دواوين من الكتبة، الزعماء الدينيين والإداريين وكل هذا ضمّن وحدة شعب مصر داخل نظام معقد من المعتقدات الدينية.

خلال هذه المسيرة الحضارية حقق المصريون القدامى عديد المنجزات وهذا في مختلف المجالات: الاقتلاع المحجري (استغلال المحاجر) الذي وظف في تشييد مختلف المعالم والمباني والتماثيل والمسلات، كذلك في علم المساحة (مسح الأراضي) وعديد التقنيات البنائية ما سهل تشييد الأهرامات، المعابد والمسلات. علينا ألا نغفل كذلك عن الاسهامات الكبرى للمصريين في الرياضيات، الطب، عدة أشكال من الأدب، نظم السقاية والري وصولا لتقنيات في الفلاحة، كما كانوا من السباقين لبناء السفن واشتهرت مصر بأحد أنواع السيراميك وهو "الفاينس المصري". لذلك، فإن هذه الحضارة مثلما كانت مسرحا لأحداث هامة أثرت على ثقافة وتصورات الشعوب المجاورة واللاحقة، فإن فنها وهندستها المعمارية هي مصدر إلهام للشعوب من الجهات الأربع ولليوم لا تزال هذه الحضارة تكشف لنا الجديد ما يسهم في زيادة معرفتنا لها وللتاريخ الإنساني.

2-"هيرودوت": "مصر هبة النيل":

لا تزال هذه المقولة التي قالها المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" عند زيارته لمصر في القرن الخامس قبل الميلاد بالغة الدلالة في التعبير عن قيمة نهر النيل بالنسبة لمصر ولبروز حضارتها. لقد لاحظ بحق هذا الاغريقي أن النهر لا يمكن فصله عن الهوية المصرية القديمة، لأنه بدونه لن يكون هنالك وجود لمصر. لذلك، كان من الطبيعي أن يجعله سكان "الأرض السوداء" (الكميت) إلها

11-طيبة (1332-1279 ق.م): الأسرة 18-19 (قبل رمسيس الثاني).
12-بر-رعمسيس (1279-1078 ق.م): الأسرة 19-20 (بعد رمسيس الثاني).
13-تانيس (1078-945 ق.م): الأسرة 21.
14-بوباستيس (945-715 ق.م): الأسرة 22.
15-تانيس (818-715 ق.م): الأسرة 23.
16-سايس (725-715 ق.م): الأسرة 24.
17-نباتا/منف (715-664 ق.م): الأسرة 25.
18-سايس (664-525 ق.م): الأسرة 26.
19-سايس (404-399 ق.م): الأسرة 28.
20-منديس (399-380 ق.م): الأسرة 29.
21-سبينيتوس (380-343 ق.م): الأسرة 30.
22-الإسكندرية (332 ق.م-641م).

مراحل التاريخ المصري القديم

1-3150-2686 ق.م: التأسيس، عصر الأسر المصرية المبكرة (العصر الثيني)=الأسرة الأولى والثانية.
2-(2686-2181 ق.م): المملكة المصرية القديمة=عصر بناة الأهرام (الأسرة الثالثة-السادسة).
3-(2181-2055 ق.م): الفترة المصرية الانتقالية الأولى (عصر الاضمحلال الأول): من الأسرة 7 إلى 11.
4-(2055-1650 ق.م): المملكة المصرية الوسطى (عصر إعادة التوحيد): الأسرة 11 و12.
5-(1650-1550 ق.م): الفترة المصرية الانتقالية

مهما في البانثيون المصري؛ ميزة هذا النهر-الإله أنه متقلب ما يجعله مؤذي على شكل فيضانات تؤدي إلى إتلاف المحاصيل وبالتالي إلى المجاعة، لهذا، فإنه قبل تشييد سد أسوان العالي في عهد جمال عبد الناصر عاش الفلاحون في خوف دائم، على أن مصر اليوم هي مهددة بالعطش مع تشييد أثيوبيا لسد النهضة !.

في الواقع، إن هذه الحضارة التي ظهرت منذ خمسة آلاف سنة على ضفاف "النيل" هي مدينّة للظروف الجغرافية المتميزة والتي جعلت من حوض نهر النيل "واحة هائلة" وملجأ طبيعي للسكان الذين أجبروا على هجر مناطق "سافانا الصحراء الخضراء" التي بدأت تتأثر تدريجيا بالتصحر. تمتد مصر فلكيا ما بين 24-31° شمال خط الاستواء، ما يجعلها تشكل جزء من منطقة شاسعة القحالة تمتد على 10 آلاف كيلومتر من الصحراء الأطلسية إلى صحراء "طهار" في الجنوب-الغربي من الهند. لعدة آلاف من السنين، كانت هذه المناطق الصحراوية اليوم مأهولة بالسكان وبالثروة الحيوانية وهو ما تؤكده لنا عديد الشواهد وعلى رأسها الفن الصخري في "طاسيلي-ناجر"، على أنه حينها كان حوض نهر النيل منطقة مستنقعات معادية وطاردة لأي وجود بشري. هذه الوضعية تغيرت على مدى آلاف السنين من عصور ما بعد الفترات المطرة الإفريقية وهو ما يتوافق مع فترات ما بعد العصور الجليدية الأوربية. هذا التحول المناخي هو ما حول مصر لهبة النيل كما أورد "هيرودوت" والذي عرف سكانها بأنهم: "..**أولئك الذين يعيشون أعلى جزيرة إلفنتين ويشربون مياه النهر**" وأن هذا النهر يتميز عكس بقية الأنهار التي عرفها بالفيضانات التي توسعه في الصيف وتقلصه في الشتاء"، كما جلب هذا النهر المياه والطمي الضروريين للحياة وللزراعة. إذن، في قلب منطقة قاحلة ومعادية للوجود البشري وفي حوض واسع يتراوح عرضه ما بين 10-30 كلم والذي يمتد لما يقرب ألف كيلومتر من الشلال الأول (شلال أسوان) حدث ميلاد هذه الحضارة أين التقى الماء مع الأرض الصالحة للزراعة وعمل الإنسان وهذا على غرار ما حدث في بلاد ما بين النهرين وعلى ضفاف نهر السند، فانتقلت مصر من ثقافة العصر الحجري الحديث إلى حضارة قوية زراعيا، حضريا وتقنيا. بالتأكيد، فإن وجود سلطة مركزية قد كان ضرورة لتنظيم توزيع المياه واستخدام الكتابة الهيروغليفية قد جعل هذه الحضارة تدخل التاريخ منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد.

يمتد نهر النيل على طول 6670 كلم وهذا من منبعه الواقع في منطقتي بحيرتي "فيكتوريا" وألبرت (النيل الأبيض) ويتغذى النيل بانتظام ووفرة من خلال هطول الأمطار الغزيرة التي تتميز بها المنطقة الاستوائية، على أن جزء معتبر من هذه المياه تختفي بسبب التبخر أثناء اجتيازها مسافة 2500 كلم عبر الصحراء للوصول إلى البحر المتوسط والذي يُكمل هذه الخسارة الكبيرة هو روافده الواقعة على الضفة اليمنى والمنحدرة من الهضبة الأثيوبية والمزودة بمياه غزيرة تسقيها بها الأمطار الهاطلة في الصيف. بهذا الشكل، يضمن رافدي النيل الأزرق (ينبع من بحيرة تانا بأثيوبيا) وعطبرة في كل سنة وابتداءً من جويلية عودة فيضان النيل. في المناطق التي يكون فيها متوسط التساقط السنوي 33 ملم في السنة-باستثناء الدلتا أين يضمن المناخ المتوسطي هطول أمطار معتبرة-فهمنا لماذا المصريون القدماء جعلوا للنيل معبود هو الإله "حابي": إله النيل والفيضان وهو ضامن العودة الأبدية للحياة. خلق نهر النيل مساحة صالحة للزراعة قدرها 30 ألف

الثانية (عصر الاضمحلال الثاني): من الأسرة 13 إلى 17.

6-(1550-1069 ق.م): المملكة المصرية الحديثة (الإمبراطورية المصرية)؛ من الأسرة 18 إلى 20.

7-(1069-664 ق.م): الفترة المصرية الانتقالية الثالثة (نهاية الدولة المصرية الحديثة): من الأسرة 21 إلى 25.

8-(664-332 ق.م): العصر الفرعوني المتأخر (من الأسرة 26 إلى 30).

9-332-30 ق.م: المملكة البطلمية (حكم الاغريق لمصر)

10-30 ق.م-641م: الحكم الروماني والبيزنطي. لمصر.

الاسم القديم لمصر بالهيروغليفية وهو "كميت Kemet" الذي يعني "الأرض السوداء"، بلاد التربة السوداء وبلاد السود (المصريون):

كلم^2 وهو ما يعادل مساحة بلجيكا ولبلد ممتد في دوائر العرض بما يزيد عن ضعف طول فرنسا: هذا المجال هو من سيطر على وجود الحضارة المصرية وتطورها.

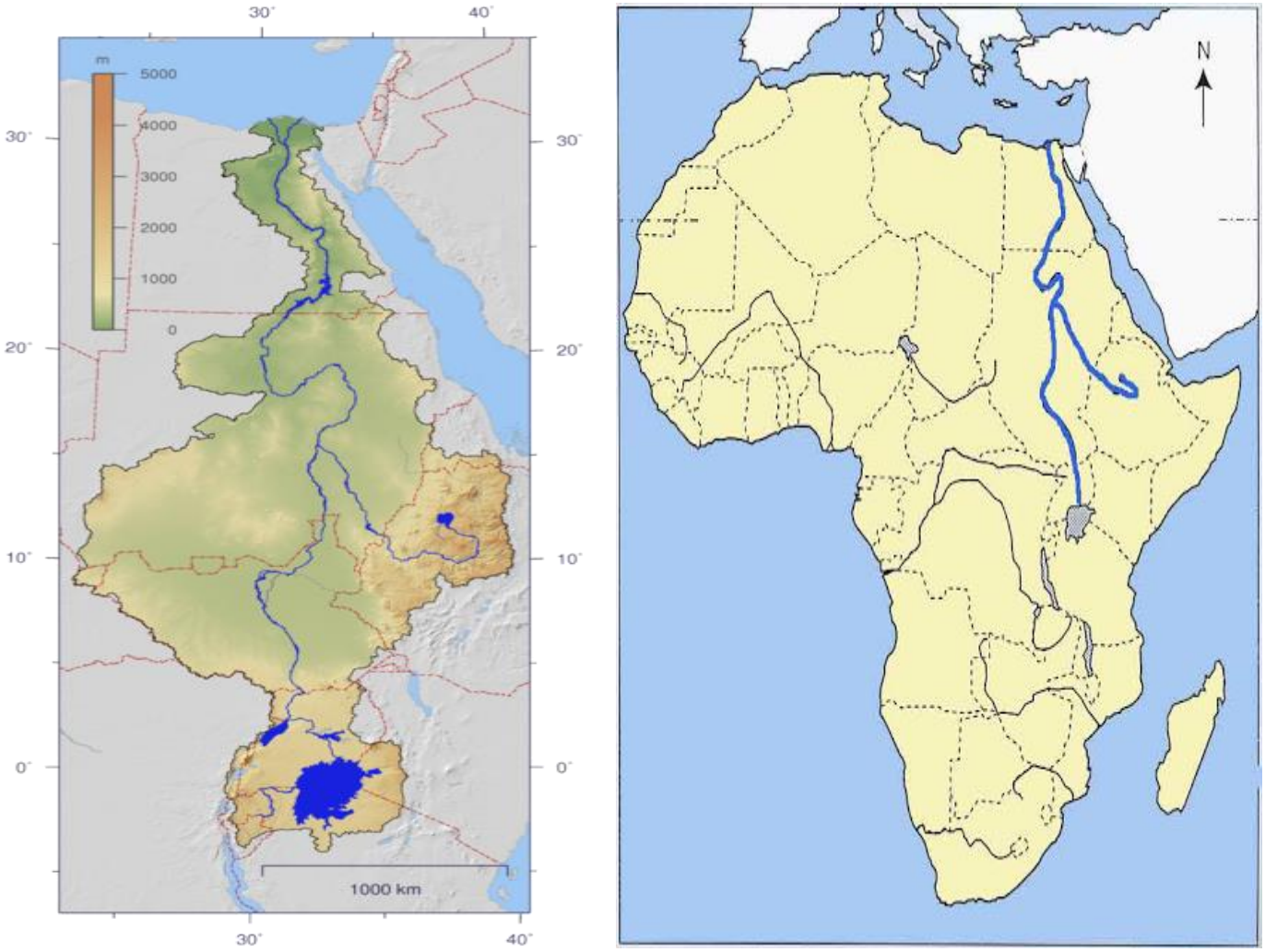

مجرى نهر النيل: من النيل الأبيض والأزرق إلى الملتقى والتوجه شمالا نحو البحر المتوسط

تظهر البلاد في الواقع كحوض لا نهاية له-طريق نهري حقيقي تتواجد على طوله مقاطعات مصر (nomes) والدوائر الإدارية المحلية، والتي لعبت دورا حاسما في تخفيف سطوة السلطة المركزية وفي إنقاص حدوث الأناركية-والذي ينتهي بدلتا (Delta) شاسعة حيث 22 ألف كلم^2 منه صالحة للزراعة وهو ما يمثل ثلثي (3/2) المساحة الزراعية المفيدة لمصر القديمة والتي شبهها المؤرخون الفرنسيون "**بسولوني (جهة طبيعية غابية فرنسية) إفريقيا مجتمعة عبر النيل تحت سماء البحر المتوسط**". هذا التباين الطبيعي أسس لتميز بين الصعيد المصري (الوجه القبلي) والوجه البحري (دلتا النيل) وهو الأمر الذي كان حاسما طوال التاريخ المصري. في حين، الصحراء هي موجودة فور الابتعاد قليلا عن الحوض وأنهاره السطحية، على أنه إلى الغرب نجد عديد الواحات الهامة ومنها الفيوم التي تتوافق مع بحيرة قارون (lac Moëris) التي ذكرها هيرودوت. على بعد 80 كلم إلى الجنوب-الغربي من القاهرة، هنالك منخفض تبلغ مساحته 1770 كلم^2 يعرف حاليا باسم "بحيرة قارون" والتي تمتد على موقع دلتا قديم لنهر ابتدائي: كانت تربط النيل وتم شغلها وتثمينها منذ فترة مبكرة. أكثر إلى الغرب نجد المنخفض الصحراوي "القطارة"، الواحات البحرية (في الجيزة)، الفرافرة، الداخلة والخارجة، وغير بعيد عن ليبيا هنالك واحة سيوة التي كانت مركز معبد "أمون" والذي قام الإسكندر الأكبر بتكريسه (جعله مقدسا) عند غزوه لمصر.

3-التاريخ السياسي لمصر القديمة:

3-1-الأصول: لقد سمحت التطورات المناخية التي شهدتها المنطقة بتوفير شروط ميلاد وظهور حضارة مصر القديمة وقد كان هذا على أربع مراحل رئيسية:

-18-15 ألف ق.م: والتي يُمكن تسميتها بمرحلة "**الجذب النيلي**" والتي تتوافق مع فترة قاحلة في تاريخ المناخ الصحراوي، هنا أصبح النيل نهر ذو ضفاف ترحيبية.

-15000-9000 ق.م: مرحلة "**النفور النيلي**" حيث حولت الأمطار الغزيرة التي تهاطلت حوض "النيل" إلى مستنقع ضخم مغمور بالمياه وهو ما أدى لبروز حضارة بارزة للصيادين في سفانا الصحراء والذين أصبحوا بعدها رعاة.

-9000-6000 ق.م: هي مرحلة جديدة من "**الجذب النيلي**" حيث برز خلالها الحوض تدريجيا كملاذ للسكان الذين طُردوا من الفضاء الصحراوي نتيجة تقدم الجفاف. نتيجة لذلك، ظهرت أولى بؤر العصر الحجري الحديث خلال أواخر هذه الفترة في "السودان" وبالتحديد في منطقة "الخرطوم".

-5500-5000 ق.م: هنا بدأ التأسيس التدريجي لظروف مناخية أقل جفافا مما هو واقع حاليا. خلال هذه الفترة تبلور سكان مصر الذين طوروا حضارة على مدار آلاف السنوات التالية أين حدث اندماج بين عناصر قادمة من الصحراء الإفريقية التي عرفت تدجين الحيوانات مع أولئك الذين يعيشون على الصيد الحيواني وصيد الأسماك وجمع الثمار المستقرين على ضفاف النيل، كما أدت تلك الظروف إلى حلول الزراعة محل التدجين الحيواني بسرعة. في نواحي **5700-4700 ق.م** ظهرت الثقافة النيوليتية في واحة الفيوم والمسماة "بالفيوم أ" وقد زرع خلالها السكان الشعير، العدس، الحمص والكتان.

بهذا، فإن مناخ مصر تميز خلال عهد ما قبل الأسرات (5500-3150 ق.م) بكونه أقل جفافا وهو ما سمح بوجود مناطق واسعة مغطاة بالسفانا (السهل العشبي) المشجرة والتي تقطعها قطعان ذوات الحوافر، كما كان النبيت والثروة الحيوانية أكثر وفرة ومثّل النيل موطن لأنواع مختلفة من الطيور وهو ما شجع على ممارسة الصيد وتدجين عديد الحيوانات. خلال هذه الفترة طورت عديد القبائل القاطنة بجوار النيل ثقافتها الخاصة وهو ما يمكن التعرف عليه من خلال الفخار والأغراض الشخصية مثل الأمشاط، الأساور، اللؤلؤ، كما أظهروا معارف هامة في الزراعة وتربية الحيوانات. في صعيد مصر نجد أن أهم الثقافات تمثلت في ثقافة "البداري" والمعروفة بممارستها لزراعة متواضعة، غلبة الأنواع الحيوانية المتوحشة على المستأنسة، تخزين المحاصيل في حفر، متحركين نسبيا ويمارسون بشكل أساسي الرعي والصيد إلى جانب الخزف واستخدام النحاس والأدوات الحجرية. في شمال مصر أعقب ثقافة البداري ظهور ثقافتين هما: ثقافة نقادة 1 (Nagada) والمسماة كذلك بالأمراتية (4000-3500 ق.م) ونقادة 2 المسماة بالجيزية وقد تميزتا بعديد التحديثات التقنية على مستوى الخزف والفن مع حدوث تواصل مع الكنعانيين والمدينة الساحلية "جبيل".

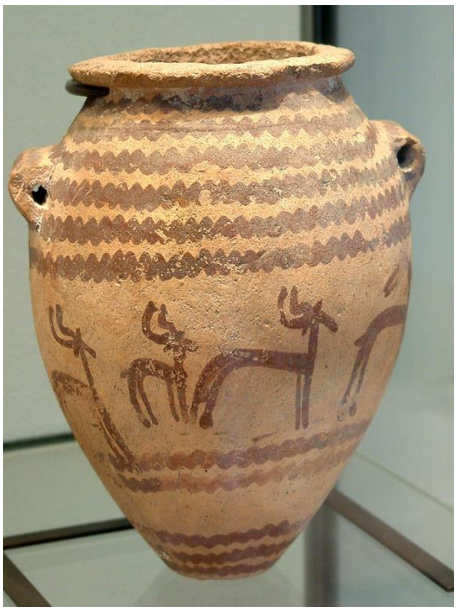

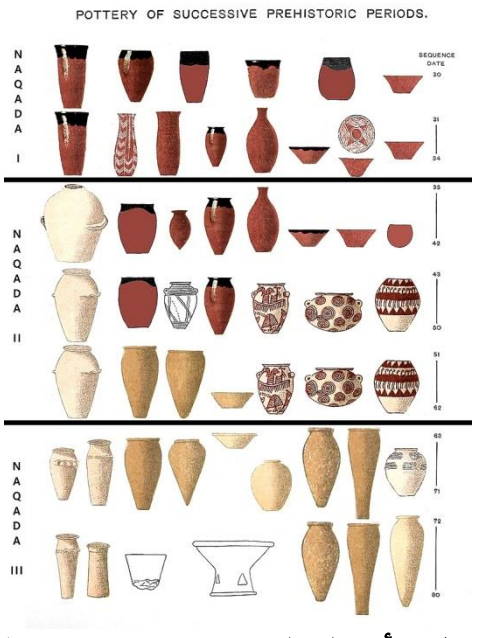

مزهرية تظهر الغزال في ثقافة نقادة 2 تطور أنماط الفخار في مصر ما قبل التجسيد الفني لإنسان ما قبل الأسرات

التاريخ

في جنوب مصر، بدأت ثقافة "نقادة" على غرار ثقافة "البداري" في الانتشار على طول نهر النيل منذ حوالي الألفية الرابعة قبل الميلاد. فخلال فترة "نقادة 1" (3400-3500 ق.م) استورد مصريو ما قبل الأسرات حجر السبج من أثيوبيا لتشكيل شفراتهم وأغراض أخرى انطلاقا من تقطيعها. طوال مدة ألف سنة تطورت الثقافة النقادية (نقادة 2 3500-3300 ق.م ونقادة 3 3300-3150 ق.م) من مجتمعات زراعية صغيرة لغاية إلى أن أصبحت حضارة قوية تمكن فيها الحكام من السيطرة الكاملة على السكان وموارد حوض النيل: لوحظ ازدياد الكثافة السكانية، استغلال فيضان النيل، وجود أثاث جنائزي في القبور ما يعبر عن معتقدات ما بعد الموت، وبعد أن سادت ثقافة تربية المواشي انتقل المجتمع إلى الزراعة أين استطاع الانسان المصري استغلال فيضان النيل منهجيا وبانتظام وهذا بفضل إنجاز أشغال سقاية. أقام هؤلاء العديد من المبادلات التجارية مع بلاد النوبة في الجنوب وواحات الصحراء الغربية وثقافات شرق المتوسط. لقد ساهمت منتجات هذه الثقافة في وضع أسس حضارة مصر الفرعونية: صنع إنسانها أنواع مختلفة من الأغراض والسلع الثمينة: الخزف الصقيل (القيشاني)، المزهريات الحجرية المزخرفة، اللوحات الفنية، مجوهرات من الذهب، العوهق والعاج وهو ما يظهر صعود تقني قوي ووجود نخبة ثرية. الأهم أنه خلال أواخر فترة ما قبل الأسرات، بدأت ثقافة "نقادة" تستخدم رموز كتابية والتي ستتطور إلى النظام الهيروغليفي الكامل المستخدم طوال تاريخ مصر القديمة.

3-2-عصر الأسر المصرية المبكرة=العصر الثيني (période thinite) 3150-2686 ق.م:

وفق كتابات الكاهن والمؤرخ المصري "مانيثون" الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وألف تاريخ مصر في ثلاث مجلدات تحت عنوان "التاريخ المصري Aegyptiaca" بطلب من "بطليموس الأول"، فإن تاريخ مصر الفرعونية ينقسم لثلاثين أسرة تعاقب على حكمها ابتداءً من الفرعون "مينا" (3200-3100 ق.م؟). لهذا، فإنه من المفترض أن "مينا/ماني" (والذي قد يكون هو نارمر) هو من قام بتوحيد مملكتي مصر العليا والسفلى في حوالي 3200-3150 ق.م عبر معركة انتصر فيها. في الواقع، لقد كانت هنالك ثلاث ممالك مبكرة متنافسة على توحيد مصر وهم منظمون حول "هيراكونبوليس، نقادة وأبيدوس"؛ في هذه الفترة يمكن الحديث عن "الأسرة صفر" والتي حددها الباحثون في العقدين الأخيرين من توحيد مصر. على أننا نجهل العدد الدقيق للملوك الذين شكلوها، لكن هنالك من ذكروا في تاريخ "مانيثون" ولا جدال حولهم هم: ملك مصر العليا "سعرقت" (الملك العقرب)، "إري حور"، "كا" (أو زيخن) و"نارمر" الذي هو آخر ملك للأسرة 0 وأول فرعون للأسرة الأولى. في الحقيقة، هنالك تشكيك اليوم في وجود الملك "مينا" واعتقاد بأنه هذا الاسم يشير ببساطة إلى "الشخص الذي يؤسس" أي (السلطة الفرعونية). بموجب ذلك التوحيد ومنذ ذلك الوقت، أصبح هنالك إقليم محدد للدولة (يتمدد ويتقلص)، سلطة واحدة، أيديولوجية ملكيّة، كتابة، حِرّف الترف، مبادلات تجارية مع بلدان بعيدة من بينها بلاد كنعان والنوبة، نظام ضريبي وإدارة تراتبية، وهو ما أدخل مصر "التاريخ" خلال فترة انتقالية منذ ما بين 3200-3100 ق.م. بالتأكيد، فإن هذه الوحدة تمت بالقوة وهو ما تؤكده لوحة "نارمر" التي تظهر أن إخضاعه "الدلتا" قد مكن من توحيد الدولة ما مهد لانبثاق الحضارة المصرية.

مع ذلك، يعتقد الباحثون أن "مينا" الأسطوري يمكن أن يكون في الواقع هو الفرعون "نارمر" الذي ظهر في الزي الملكي في لوحة "نامر" الاحتفالية والتي هي عمل رمزي يخلد فعل التوحيد. في هذه اللوحة ظهر "نارمر" بالتاج الأبيض (حدجت hedjet) لصعيد مصر، يمسك دبوس (massue) في اليد اليمنى وملك مصر السفلى في الأخرى، ويدفعنا المشهد للاعتقاد بحدوث إعدام أو تضحية. من الجهة الأخرى للوحة، يمكننا رؤية احتفاله بالنصر مع جيشه. يرتدي بعدها تاج الملك المهزوم (التاج الأحمر "دشرت" لمصر السفلى)، رمز انتصاره على ملك الشمال. في بداية العصر "الثيني"، في حوالي 3150 ق.م، عزز أوائل فراعنة السلالات المنحدرين من الجنوب (مصر العليا) سيطرتهم على الوجه البحري من خلال إنشاء عاصمتهم في "ممفيس" (20 كلم جنوب الجيزة) والتي من خلالها تحكموا في القوى العاملة، الزراعة وفي منطقة "دلتا" الخصبة وكذلك الطرق التجارية المتجهة إلى الشام التي هي استراتيجية بقدر ما هي مربحة، كما قادوا حملات ضد الليبيين والنوبيين. هذه القوة والثروة المتزايدة للفراعنة خلال العصر الثيني ظهرت من خلال تشييد

مصطباتهم (Mastaba) (نماذج من القبور دفن فيها فراعنة الأسرة 1 و2 بأبيدوس) ووجود هياكل العبادة الجنائزية في "أبيدوس" والتي تؤدي وظيفة تخليد الفرعون المؤله بعد وفاته. لقد أسهمت المؤسسة الملكية القوية التي طورها الفراعنة في إضفاء الشرعية على سيطرة الدولة على الأرض، العمل والموارد التي تعد ضرورية لبقاء وازدهار الحضارة المصرية.

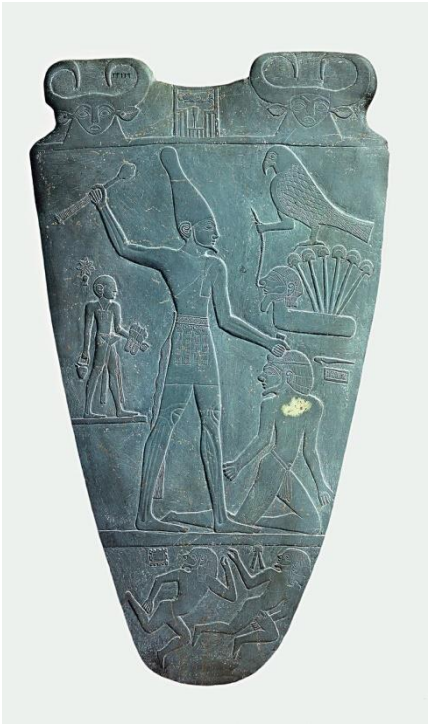

الوجه الأمامي والخلفي للوحة "نامر/نعرمر" موحد مصر حيث يظهر وهو يلبس تاج مصر العليا (الجنوبية) ويمسك بيده دبوس ضرب به أعداءه الشماليين وجعل من "منف" عاصمة له. هي مؤرخة ما بين 3200-3100 ق.م.

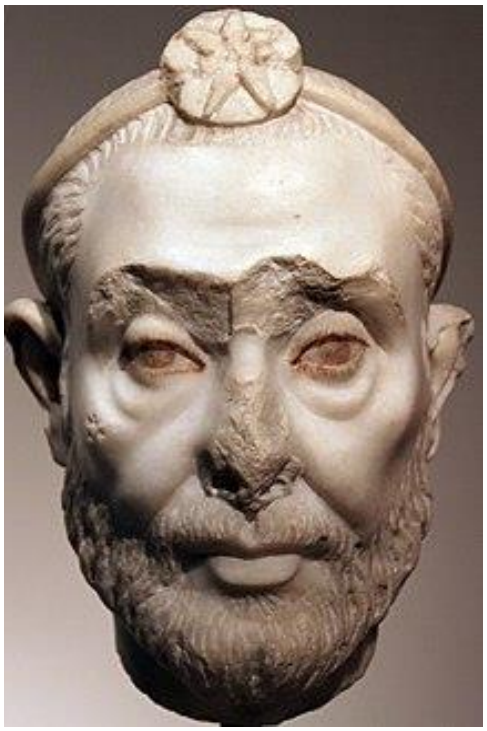

ربط المؤرخ "بلوتارخوس" "الكاهن والمؤرخ "مانيثون" بعبادة البطالمة للإله "سيرابيس" والذي يظهر هنا هو كاهن مجهول لسيرابيس.

3-3-المملكة المصرية القديمة/الإمبراطورية المصرية (2686-2181):

تغطي هذه المرحلة حوالي 05 قرون وقد أعقبت العصر "الثيني" وهي مشكلة من الأسر: الثالثة، الرابعة، الخامسة والسادسة. يُنظر لهذه الفترة على أنها العصر الذهبي للحضارة الفرعونية وهو الأمر الذي أسهم فيه الاستقرار السياسي الداخلي وغياب أي تهديدات خارجية أخلت بالنظام العام. في الواقع، إن مركزية الدولة التي بدأت في عهد سلالات العصر "الثيني" والازدهار التي تولد في عهدها قد سمح بتحقيق تطورات فنية ومعمارية كبيرة وهو ما يمكن إدراكه بالأخص في المواقع المحيطة بممفيس عاصمة تلك الفترة. لقد طُرحت في تلك الفترة الموضوعات الكبرى للأدب المصري الكلاسيكي، القوانين الفنية في الرسم والنحت، وكذلك تم تحسين النظام الإداري الذي استمر تطبيقه لقرابة 3000 سنة. يعود الفضل في إحراز هذا التقدم الهام في الهندسة المعمارية، الفن والتقانة بفضل المكاسب المحققة في الإنتاجية الزراعية المُدارة من قبل إدارة مركزية متطورة وفراعنة على قدر عالي من القوة والتخطيط. في حين وتحت قيادة "الوزير/المستشار" (التياتي Vizier) قام الموظفون بجمع الضرائب، تنسيق مشاريع الري لتحسين مردود المزروعات، انتداب المزارعين على مشاريع البناء وأقاموا نظام عدل للحفاظ على السلام والعدل. مع فائض الموارد التي أتاحه الاقتصاد المنتج والقوي استطاعت الدولة تمويل تشييد معالم معمارية ضخمة والقيام بأعمال فنية استثنائية في الورشات الملكية. لقد اشتهرت وعرفت هذه الفترة بظهور الأهرامات ووصولها إلى أوجها في منطقة "ممفيس": لدينا في البداية هرم سقارة المدرج المشيد في عهد الفرعون "زوسر" (الأسرة الثالثة) على يد الوزير "إمحوتب" (أول مهندس معماري وطبيب وفيلسوف في تاريخ البشرية)، ثم فيما بعد هرم "ميدوم" في عهد "سنفرو"، ثم الأهرامات الثلاث الهائلة في هضبة الجيزة المشيدة من فراعنة حكموا في عهد الأسرة الرابعة: أهرامات خوفو (الهرم الأكبر)، خفرع ومنكاورع. هذه المنشآت تعبر عن قوة حكام هذه

الفترة والمكانة المركزية التي احتلوها في المجتمع والتي لا مثيل لها في بقية تاريخ مصر القديمة، والتقدم الذي أجرزه المصريون في العمارة والفن وكيف أن الممارسات الجنائزية والمعتقدات الدينية مثلما تعبر عن ذهنية ذلك الزمن، فإنها قادت البشرية لإنجاز عجائب معمارية.

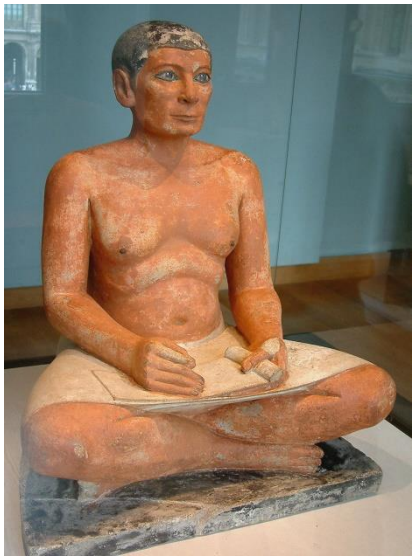

تمثال الكاتب الجالس بمتحف اللوفر

المركب الجنائزي لسقارة وهرم "زوسر"

أهرامات الجيزة الشهيرة

تمثال أبو الهول: مخلوق أسطوري بجسم أسد ورأس إنسان.

التمثال الخشبي: شيخ البلد.

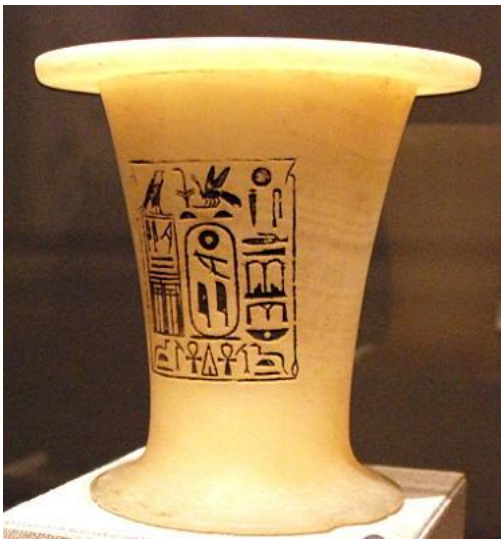

مزهرية من المرمر باسم "بيبي الأول"، ربما هي مرتبطة بإحياء ذكرى عيد سد (الذيل) وهو احتفال سيادة الفرعون على مصر.

في عهد الأسرة الثالثة مثلما حل الحجر محل الطوب وساد نموذج القبر-المصطبة، فإنه تم تشكيل الديانة المصرية القديمة، فوضع البانثيون والطقوس مع غلبة العبادة الشمسية للإله "رع" المبجل في "هيليوبوليس". في عهد الأسرة الرابعة شن الفراعنة حملات باتجاه "سيناء" وبلاد النوبة وبعد التجارب الأولى للأهرامات في عهد الأسرة الثالثة وصل المصريون لأوج الازدهار في بناء الأهرامات أين وظفت فنون زخرفية مبدعة وبراقة. في عهد الأسرة الخامسة تمكن الفراعنة من صد هجمات الليبيون ومن التواصل مع الساحل الكنعاني ومع ميناء "جبيل" أين ستحافظ مصر على علاقات تجارية منتظمة معهم. تطورت كذلك عبادة الإله "أوزيريس" الذي طور في "أبيدوس"، أهرامات أبي صير، معبد الشمس في أبو غراب، تمثال الكاتب الجالس المحفوظ بمتحف اللوفر و"شيخ البلد". أما فراعنة الأسرة السادسة، فقد تمكنوا من إخضاع النوبة السفلى. ترك الفرعون "لحكام المحافظات" (nomarques) الاستقلالية على صعيد السلطات المحلية (الحكم المحلي) وهو ما أدى تدريجيا لإضعاف سطوة السلطة المركزية. لقد أدى صعود سلطة الإدارة المركزية إلى انبثاق طبقة اجتماعية جديدة مشكلة من الكتبة المتعلمين والموظفين الذين منحهم الفرعون عقارات دفعة واحدة

مقابل خدماتهم. كما منح الفراعنة أراضي لعبادتهم الموتية (mortuaitre) وللمعابد وهذا بغية ضمان الدعم المالي لهذه المؤسسات وهو ما يكفل بقاء عبادة الفرعون بعد موته. لقد أدت هذه الممارسات التي امتدت طوال خمسة قرون إلى تآكل القوة الاقتصادية للفرعون الذي لم يعد قادرا على دعم إدارة مركزية كبيرة. تدريجيا تضاءلت سلطة الفرعون نتيجة تصاعد تحدي الحكام الجهويين الملقبين باسم "كبار (حكام) المحافظات" لهيمنة وتفوق الفرعون. هذا الوضع، تزامن مع الجفاف الكبير الذي ضرب مصر ما بين 2200-2150 ق.م ما أدى في النهاية إلى دخول البلاد لمدة 140 سنة فترة ميزتها المجاعات والاضطرابات والتي تعرف باسم "الفترة الانتقالية الأولى".

3-4-الفترة الانتقالية الأولى=عصر الاضمحلال الأول (2181-2055 ق.م):

هي أحد تسلسلات التاريخ المصري القديم وهي تمتد على القرنين XXII وXXI قبل الميلاد وعلى قرابة 150 سنة. تميزت بالعديد من الصعوبات الاجتماعية والسياسية وتمثل مرحلة اضمحلال للسلطة الفرعونية. تشمل الأسرتين السابعة والثامنة، أحفاد الملك "بيبي الثاني"، الأسرتين التاسعة والعاشرة المعروفتين بالسلالتين الإهناسية (أهناسيا هي عاصمتهم)، بالإضافة إلى جزء من الأسرة الحادية عشر التي نشأت في "طيبة". دخلت مصر هذه الفترة نتيجة انهيار الإدارة المركزية في أواخر الدولة القديمة حيث لم تعد الإدارة قادرة على دعم اقتصاد البلد وجعله مستقرا، كما لم يعد باستطاعة حكام الأقاليم وضع مساعدة الملك ضمن حساباتهم وأدى نقص الغذاء إلى عديد المجاعات، في حين تحولت الخلافات السياسية المختلفة إلى حروب أهلية صغيرة. على الرغم من هذه الصعوبات، فإن الحكام المحليين الذين لا يدفعون أي جزية للفرعون قد استخدموا استقلاليتهم المكتسبة حديثا لتأسيس ثقافة مزدهرة في المقاطعات. مع سيطرة هؤلاء على مواردهم الخاصة، ازدادت المقاطعات ثراءً وهو ما يتضح من خلال مدافنهم الأكبر والأفضل بالمقارنة من تلك المنسوبة لبقية الطبقات الاجتماعية. على صعيد الزخم الإبداعي، تبنى الحرفيون الإقليميون الزخارف التي كانت مخصصة سابقا فقط للسلطة الملكية للدولة القديمة، كما طور الكتبة أساليب أدبية تعبر عن التفاؤل وأصالة هذه الفترة.

بعد تحرر هؤلاء الحكام الإقليميين من الولاء للفرعون، راحوا يتنافسون للسيطرة والسلطة. نتيجة لذلك، نجد أن الأراضي انقسمت إلى منطقتي نفوذ؛ الشمال (مصر السفلى) الذي كان فريسة تسلل البدو القادمين من الشرق الأدنى يخضع لحد ما للسيطرة انطلاقا من مدينة "هيراكليوبوليس". أما في الجنوب، فقد كانت السلطة بيد ملوك "طيبة" (أسرة أنتيف) الذين نصبوا أنفسهم ملوكا وهو ما فتح باب النزاعات بينهما ما بين 2160-2155 ق.م أين تمكنت في السنة الأخيرة القوات الطيبية تحت حكم "منتوحوتب الثاني" من هزم حكام "هيراكليوبوليس" بشكل نهائي وأعادوا توحيد المملكتين من جديد، فدشنوا بذلك فترة نهضة اقتصادية وثقافية جديدة تسمى بالدولة الوسطى.

3-5-الدولة (المملكة) الوسطى (2055-1650 ق.م):

لقد استطاع الفراعنة خلال هذه الفترة استعادة ازدهار البلاد واستقرارها، ما حفز على انبعاث الفن، الأدب ومشاريع البناء الضخمة وقد حكم البلاد خلال هذه الفترة سلالتين أو ثلاث سلالات حاكمة: 1-في أواخر الأسرة الحادية عشر نجد "منتوحوتب الثاني" وخلفاءه، وبالتأكيد فإن إعادة توحيد البلاد قد جعل الباحثون يعتبرون أن الفترة الانتقالية الأولى قد انتهت وبدأ عصر الدولة الوسطى. 2-الأسرة الثانية عشر (1991-1802) والتي تمثل العصر الذهبي للدولة الوسطى. 3-بداية حكم الأسرة الثالثة عشر: في بعض الأحيان ينظر إليها بالكامل على كونها جزء من الفترة الانتقالية الثانية ويبدو أنه في بداية حكم هذه الأسرة كانت مصر لا تزال موحدة، على أن خلافة الملوك كانت غامضة وسريعة. حكم "منتوحوتب" وخلفاءه انطلاقا من "طيبة" لغاية أن قام "المستشار" "أمنمحات الأول" ومؤسس الأسرة الثانية عشر بتغيير العاصمة إلى "اللشت=لتجتاوي" وهذا مباشرة بعد تتويجه بالملك في نواحي 1985 ق.م. انطلاقا من العاصمة "لتجتاوي" قام فراعنة الأسرة الثانية عشر بتنفيذ مشروع واسع لاستصلاح الأراضي وسقي الأرض وهذا بغية زيادة الإنتاج الزراعي بالمنطقة. إلى جانب ذلك، قام الجيش باستعادة بلاد النوبة وهي منطقة غنية بالمحاجر ومناجم الذهب، كما شيد العمال هيكل دفاعي إلى شرق الدلتا أطلق عليه اسم "جدران الأمير" وهذا لحماية البلاد من أي هجوم أجنبي.

مع الاستقرار الحاصل على صعيد السلطة السياسية والعسكرية والوفرة الناتجة عن استغلال الأراضي الزراعية والمناجم، نجد أن السكان قد نموا جنبا إلى جنب مع الفنون والدين. وعلى عكس السلوك النخبوي للمملكة القديمة اتجاه الآلهة، فإن الدولة الوسطى قد شهدت زيادة في التعبير عن "التقوى الشخصية" أو ما يمكن تسميته "بدمقرطة الحياة الآخرة" والتي تعطي لكل فرد روحا من الممكن أن يكون مرحبا بها بجوار الآلهة بعد الموت. في هذا الصدد، نجد أن الآلهة الملكية في ذلك الوقت هي "منتو" (إله الحرب ويأخذ شكل الصقر): الصقر القتالي الذي يعبد في "أرمنت"، "المدامود"، طيبة ونجد كذلك الإله "أمون". خلال هذه الفترة وصل المصريون إلى مستويات جديدة من الاتقان التقني في الأدب أين تمت معالجة مواضيع وشخصيات معقدة بأسلوب بليغ، وهذا إلى جانب النحت النافر والتصويري أين التقط الفنانون أدق التفاصيل في كل شيء وقدموه. شهد عهد الملك السادس للأسرة 12 "أمنمحات الثالث" بسماحه للمستوطنين الآسيويين من الاستقرار في ناحية "الدلتا" لتوفير اليد العاملة لحملاته ومشاريعه الطموحة (التعدين وبناء المدن)، على أن مشاريعه في الاقتلاع المنجمي وأعمال البناء، إلى جانب فيضانات النيل في وقت لاحق من حكمه، قد أدت إلى إجهاد الاقتصاد ودفع البلاد إلى تدهور بطئ للبلاد ودخولها للفترة الانتقالية الثانية. تميزت هذه الفترة كذلك بالانفتاح على المشرق القديم أين تم إرسال عديد الحملات الاستكشافية وهذا بقيادة "السنوسرتيين" و"الأمنمحاتيين"، كما تم تشييد أساسات "الكرنك" من قبل "سنوسرت الأول" والذي قام ملوك الإمبراطورية الجديدة بتدميره لبناء الكرنك الحالي.

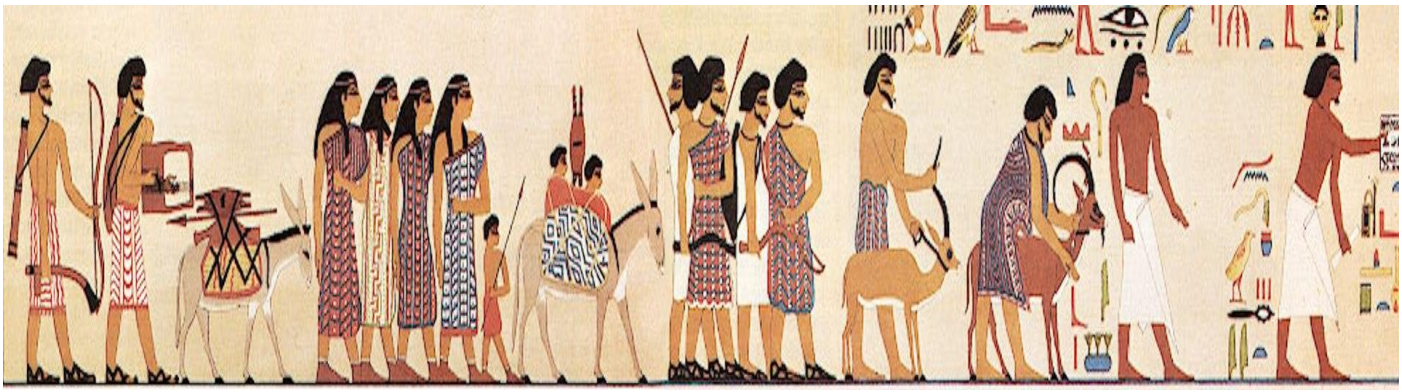

مشهد يصور دخول جماعة من شعوب غرب آسيا (ربما الكنعانيون وطليعة الهكسوس المستقبليون) إلى مصر في حوالي 1900 ق.م. المشهد مأخوذ من قبر الحاكم الإقليمي "خنومحُتب" بمقابر "بني حسن".

3-6-الفترة الانتقالية الثانية (عصر الملوك الهكسوس) 1648-1550 ق.م:

خلال التدهور الذي شهدته مصر والمتوافق مع الأسرتين الثالثة عشر والرابعة عشر، سيطر المستوطنون الآسيويون تدريجيا على منطقة "الدلتا"، ليصعدوا في الأخير إلى عرش مصر تحت اسم "الهكسوس" (معناها الحكام الأجانب). إذن، في حوالي 1650-1648 ق.م وبالتزامن مع ضعف سلطة الفراعنة في المملكة الوسطى، سيطر المهاجرون الآسيويون الذين كانوا يعيشون في مدينة "أفاريس" في الدلتا الشرقية على المنطقة وأجبروا الحكومة المركزية على الانسحاب إلى "طيبة" وقد عومل الفرعون على كونه تابع وعليه دفع الجزية. تتميز هذه الفترة بعدم الاستقرار وبسيطرة الهكسوس على جزء كبير من البلاد، وتبدأ باتفاق الكثير مع ظهور الأسرة الثالثة عشر وهذا على الرغم من أن البلاد كانت موحدة في عهدهم، ما جعل البعض يعتبرون أن هذه الفترة لم تبدأ إلا مع وصول الأسرة الرابعة عشر التي انقسمت مصر في عهدها إلى قسمين: مملكة في الشمال-الغربي للدلتا، عاصمتها "سخا" والذي يعتقد البعض أن حكامها ذو أصول "كنعانية"، أما المملكة الثانية ففي الشمال-الشرقي من "الدلتا" وأسسها "نحيسي" (الأسود/النوبي) في حوالي 1705 ق.م في "أفاريس" وهي مدينة وميناء نهري ذو كثافة آسيوية عالية مخصص للتجارة مع جبيل، لكن رغم ذلك استمر حكام الأسرة الثالثة عشر في الحكم. على أن الأسرة الرابعة عشر التي كانت تحكم "الدلتا الشرقية" سقطت في يد ملوك الهكسوس الذي أسسوا الأسرة الخامسة عشر وربما السادسة عشر (قد تكون أسرة من طيبة) والذين وسعوا مجالهم انطلاقا من عاصمتهم "أفاريس".

بخصوص أصول "الهكسوس"، فقد قدمت عدة فرضيات: 1-جزء من الحوريون وهندو-إيرانيون، عاشوا في الإمبراطورية الحيثية ثم توسعوا في آسيا الغربية، وهي فرضية يستبعدها الكثير. 2-نظرا لإشارة "يوسيفوس فلافيوس" ولأسمائهم السامية ربطهم البعض بخروج الإسرائيليين وقد سماهم بالملوك الرعاة. 3-قد يكونون على الأرجح من الشرق الأدنى. على العموم، فإن الهكسوس لم يكونوا شعبا غازيا لمصر وفق الدراسات الحديثة، بل هم أبناء مهاجرين استغلوا تزايد أعدادهم بعامل الهجرة والاستيطان وضعف السلطة الحاكمة في الوصول للسلطة وتأسيس أسرة خاصة بهم. قلد

"الهكسوس" نموذج الحكم المصري وميزوا أنفسهم كفراعنة، كما دمجوا العناصر المصرية في ثقافتهم المقابلة لمنتصف العصر البرونزي. بعد انسحابهم إلى الجنوب وجد ملوك "طيبة" أنفسهم محاصرين بين الهكسوس من الشمال وحلفائهم الكوشيين في الجنوب. لكن، بعد مرور أكثر من قرن من التقاعس والتراخي تجمعت القوات الطيبية في سنة 1555 ق.م متحدية قوة الهكسوس في صراع امتد لأكثر من 30 سنة. فنجد أن الفرعونين "شقنن رع" و"كامس" قد تمكنا من الانتصار على النوبيين، لكن الذي تمكن من القضاء على الهكسوس نهائيا هو "أحمس الأول" بعد سلسلة من الحملات الناجحة، فوصل إلى عاصمتهم "أفاريس" ووحد البلاد من جديد مدشنا بداية عصر "الإمبراطورية الجديدة" والذي احتل فيها الجيش مكانة هامة عند الفراعنة سواء من أجل ضمان امتداد الحدود أو من أجل السيطرة على الشرق الأدنى.

مشهد يظهر انتصار "أحمس الأول" على الهكسوس أين استخدم العربات والأحصنة التي أدخلها الهكسوس إلى مصر.

3-7-المملكة المصرية الحديثة (الإمبراطورية المصرية) 1550-1077 ق.م:

تمثل مرحلة "الإمبراطورية المصرية" الفترة الأكثر ازدهارا في كل التاريخ المصري بعد العصر الذهبي للمملكة القديمة، لذلك يمكن اعتبارها فترة تهذيب وتطوير امتدت لأكثر من خمسة قرون. المُدشن لها هو "أحمس الأول" باعتباره أول ملوك هذه الفترة ومؤسس الأسرة الثامنة عشر، طارد "الهكسوس" وواضع أسس الإمبراطورية الحديثة بصحبة أمه "إياح حتب" وزوجته "أحمس-نفرتاري". تتشكل هذه المرحلة من ثلاث أسر حاكمة: الأسرة 18، 19 و20 وخلالها برزت شخصيات لامعة في التاريخ المصري القديم: أحمس الأول، أمنحتب الأول، تحوتمس الأول، إخناتون، توت-عنخ-أمون، حورمحب، رمسيس الأول وبالأخص رمسيس الثاني، سيتي الأول، الملكة توسرت، "ست-ناختي". لقد دشن فراعنة الدولة الحديثة فترة ازدهار غير مسبوق من خلال تأمين حدودهم وتعزيز صلاتهم الدبلوماسية مع جيرانهم. في حين، قادت الحملات العسكرية التي شنت في عهد "تحوتمس الأول" وحفيده "تحوتمس الثالث" إلى توسيع نفوذ الفراعنة في سوريا وبلاد النوبة، كما عمل هؤلاء على تعزيز الولاءات لهم وفتحوا أبواب الواردات الأساسية مثل البرونز والخشب. في الجانب الديني، شرع فراعنة الدولة الحديثة في حملة واسعة النطاق لرفع منزلة الإله "أمون" والذي تمركزت عبادته في "الكرنك". شيّدوا كذلك معالم تذكارية لتمجيد منجزاتهم الخاصة سواء كانت حقيقية أو تخيلية، فنجد مثلا أن الفرعونة "حتشبسوت" قد استخدمت هذا النوع من الدعاية الهادف إلى إضفاء الشرعية لادعاءاتها (لمطالبها) بالعرش. نتيجة لذلك، تميز عهدها بنجاح بعثاتها التجارية نحو بلاد البنط (تطل على خليج عدن والمحيط الهندي والبحر الأحمر)، تشييد معبد جنائزي أنيق، زوج من المسلات الضخمة ومصلى في الكرنك. رغم هذه الإنجازات، سعى ربيبها وابن زوجها

"تحتمس الثالث" إلى محو إرثها في أواخر فترة حكمه وهذا ربما بدافع الانتقام من غصبها لعرشه. ومثلما كان هذا الفرعون عظيما في منجزاته، فإنه خلال عهد "أمنحتب الثالث" وصلت مصر إلى ذروة قوتها وازدهارها.

الامتداد الإقليمي الأقصى للإمبراطورية المصرية الحديثة

قناع مومياء توت عنخ آمون

في نواحي 1355 ق.م، هُدد استقرار الدولة الحديثة عندما اعتلى "أمنحوتب الرابع" العرش وراح يشرع في سلسلة من الإصلاحات الجذرية والفوضوية: غير اسمه إلى "أخناتون" (أي عبد أتون)، قام بترقية إله الشمس الذي كان غامضا في السابق وهو "آتون" حيث اعتبره الإله الأعلى وعلى أنه لا واحد لا شريك له، فوحد بذلك عبادة جميع الآلهة في عبادة "أتون" (أي قمع ومنع عبادة الآلهة الأخرى)، هاجم سلطة وقوة المؤسسة الكهنوتية في ذلك الوقت، نقل العاصمة إلى "أخيتاتون" (أفق أتون) وهي "تل العمارنة" حاليا، صم آذانه عن الشؤون الخارجية وانكب على استيعاب نفسه في دينه الجديد وأسلوبه الفني. بعد وفاته، سرعان ما تم التخلي عن عبادة "آتون" وقام كل من "توت-عنخ-آمون"، "آي" و"حورمحب" بمسح جميع التفاصيل التي تشير إلى هرطقة (بدعة) "أخناتون"، أو كما تعرف باسم فترة "تل العمارنة". في حوالي 1279 ق.م اعتلى "رمسيس الثاني" العرش واستمر في بناء المزيد من المعابد، إقامة تماثيل ضخمة، مسلات جديدة، كما أنجب أبناء أكثر من أي فرعون (زوجته الشهيرة نفرتاري وله 10 أبناء). كما برز كقائد عسكري جرئ، فقد قاد جيشه ضد "الحثيين" في معركة "قادش" (تل النبي مندو في سوريا الحالية) وبعد أن وصل القتال إلى طريق مسدود وافق على معاهدة السلام الأولى المسجلة سنة 1258 ق.م. إن ثراء مصر وازدهارها الاقتصادي في هذه المرحلة قد جعلها هدفا رئيسيا للغزو من القوى الأجنبية وخاصة من قبل الليبيين وشعوب البحر، هنا نلاحظ أن الجيش تمكن في البداية من صد هذه الغزوات، لكن مصر فقدت السيطرة في النهاية على سوريا وفلسطين، كما ازداد تأثير التهديدات الخارجية بفعل المشاكل الداخلية مثل الفساد، سرقة القبور والاضطرابات المدنية، فنجد أن كهنة معبد أمون قد كدسوا مساحات شاسعة من الأراضي والثروة، مما ساهم في زيادة قوتهم خلال الفترة الانتقالية الثالثة.

3-8-المرحلة الانتقالية الثالثة (1069-664 ق.م):

هي الفترة الانتقالية الثالثة والرابطة بين الإمبراطورية الجديدة والعصر الفرعوني المتأخر. تغطي هذه الفترة قرابة ثلاثة قرون: من القرن الحادي عشر لغاية القرن السابع قبل الميلاد وقد حكم خلالها مصر أسر محلية وأخرى أجنبية، مثل الشعوب الليبية التي استقرت في دلتا النيل وفي مصر الوسطى والكوشيون، بينما انزلقت مصر العليا تدريجيا من قبضة كهنة "أمون" إلى التأثير المتزايد الأهمية لمملكة "نبتة" السودانية. بعد وفاة "رمسيس الحادي عشر" في حوالي 1078 ق.م استولى "سمندس" على الجزء الشمالي من مصر أين جعل من "تانيس" عاصمة له، أما جنوب البلاد فقد سيطر عليه كبار كهنة معبد "أمون" بطيبة والذين اعترفوا بحكم "سمندس" بالاسم فقط. في غضون ذلك، استقر الليبيون في غرب "الدلتا" وبدأ نفوذهم يتزايد شيئا فشيئا إلى غاية أن تمكن الأمراء الليبيون بقيادة "شيشنق الأول" سنة 945 ق.م من حكم

مصر وتأسيس الأسرة 22 والمسماة بالأسرة الليبية أو "البوباستيسية" سنة 945 ق.م (نسبة لتل بسطة الحالية) والتي حكمت لمدة 200 سنة.

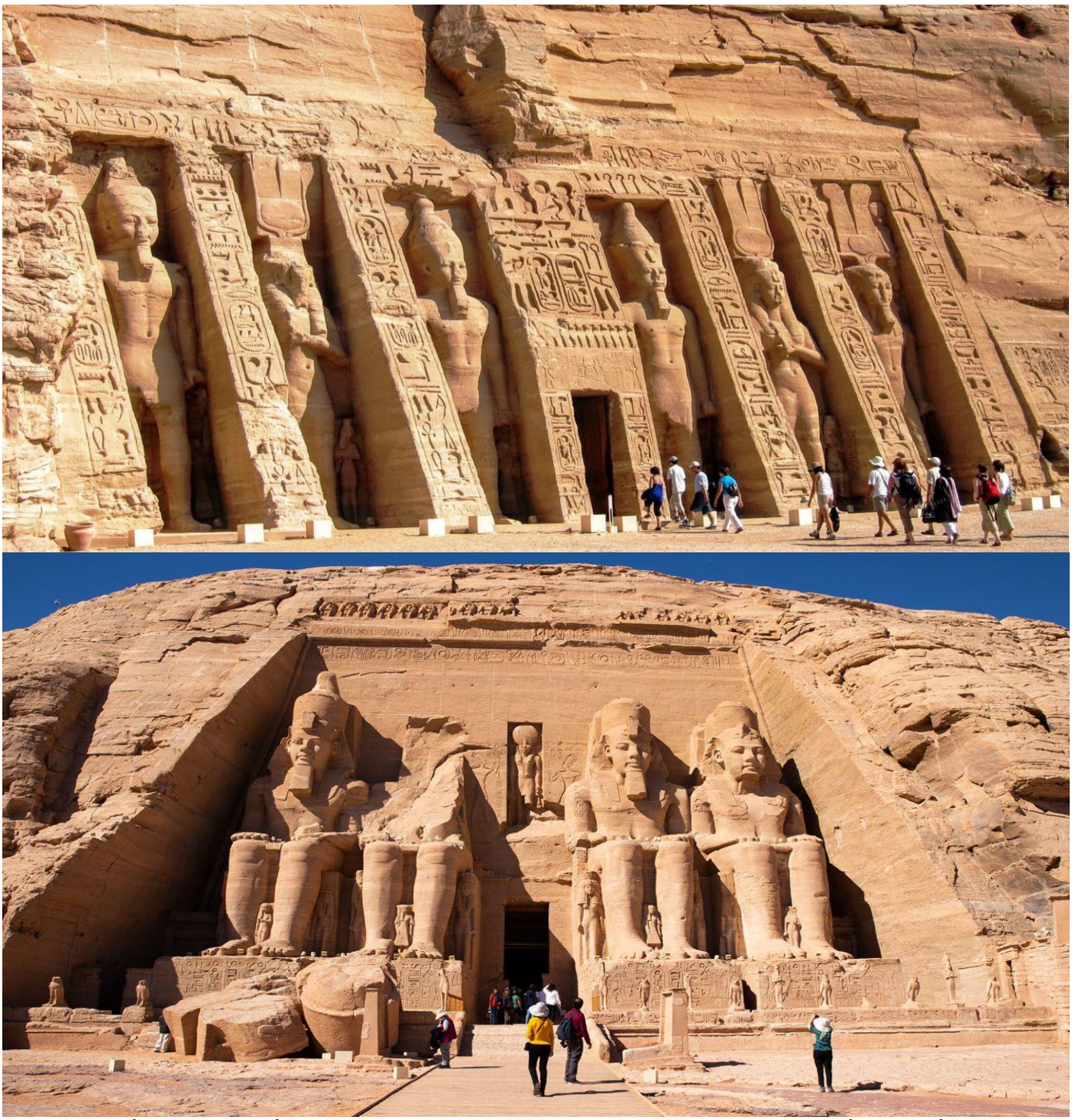

معبد أبو سمبل أين يظهر تمثالين عملاقين "لرمسيس الثاني" وزوجته "نفرتاري": أيقونات مصرية أخرى.

كما استعاد "شيشنق" السيطرة على جنوب مصر من خلال وضع أفراد عائلته في مناصب كهنوتية قيادية. تضاءلت قوة الأسرة الليبية مع ظهور سلالة منافسة في "ليونتوبوليس" بالدلتا وتهديد الكوشيين لجنوب البلاد. في حوالي 727 ق.م قام الملك الكوشي "بعنخي" باجتياح الشمال والسيطرة على "طيبة" ثم أخيرا على الدلتا ما أدى لظهور الأسرة الكوشية (السلالة الخامسة والعشرون). تراجعت هيبة مصر بشكل كبير خلال هذه الفترة حيث وقع حلفائها الأجانب في فلك التأثير الأشوري ومنذ عام 700 ق.م ثم أصبحت الحرب بين الدولتين أمرا لا مفر منه: ما بين 671-667 ق.م بدأ الآشوريون أعمالهم العدائية ضد مصر وقد تميز عهد "طهارقة" وخليفته "تنوت أمون" بالصراع الدائم ضد الأشوريين أين حقق هؤلاء الحكام النوبيون عدة انتصارات عليهم، لكن في نهاية المطاف انتصر "الأشوريون" الذين طردوا الكوشيون وأجبروهم على العودة لبلاد النوبة، احتلوا "ممفيس" ونهبوا معابد "طيبة".

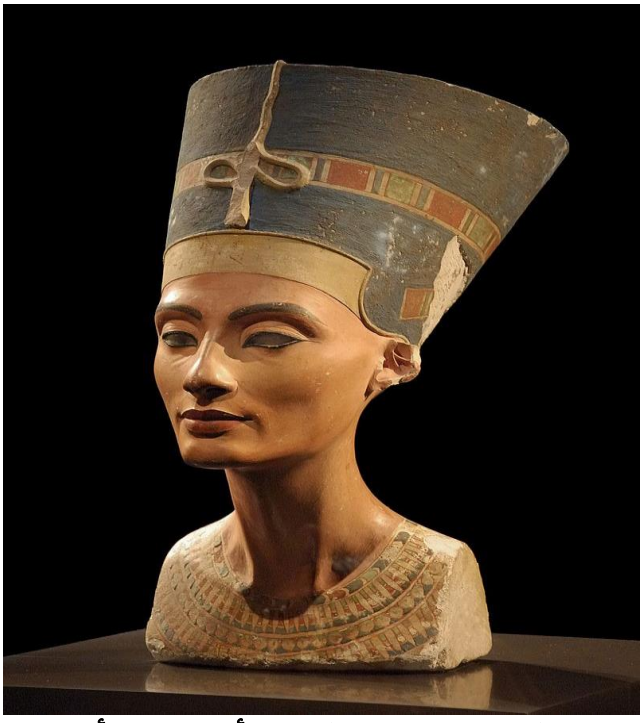

تمثال نفرتيتي (معناه الجميلة أتت) زوجة أخناتون

أمنحوتب الرابع المعروف باسم "أخناتون"

3-9-العصر الفرعوني المتأخر (664-332 ق.م):

نظرا لانعدام مخطط غزو دائم لمصر تخلى الأشوريون عن مشروع السيطرة على مصر لصالح سلسلة من التابعين عرفوا باسم "ساييت Saïtes" من الأسرة السادسة والعشرون. لهذا، فإن هذا العصر يبدأ مع إعادة توحيد البلاد على يد "إبسماتيك الأول" أصيل مدينة "سايس" (صا الحجر) وهذا بعد أن طرد الأشوريون الأسرة الخامسة والعشرون ونهبوا طيبة وتنتهي بغزو الإسكندر الأكبر لمصر. حكمت ستة سلالات مصر خلالها وقد وصفهم لنا "مانيثون" الذي كان معاصرا للبطالمة الأوائل. رغم ذلك، تمكن "إبسماتيك الأول" منذ 653 ق.م من طرد الآشوريون بمساعدة المرتزقة الاغريق المجندين لتشكيل أول جيش بحري لمصر. منذ ذلك الوقت ازداد التأثير الاغريقي بشكل معتبر بحيث أصبحت مدينة "نقراطس" مركزا هاما للإغريق في "الدلتا". شهد الملوك الساييت المتمركزون في عاصمتهم الجديدة "سايت" لانبعاث قصير ولكنه حيوي في الاقتصاد والثقافة. على أنه في 525 ق.م شرع الفرس الأقوياء بقيادة "قمبيز الثاني" غزوهم لمصر أين تمكنوا من أسر الفرعون "إبسماتيك الثالث" في معركة "الفرما". تحصل "قمبيز الثاني" على لقب الفرعون بشكل رسمي، لكنه كان يحكم انطلاقا من مسقط رأسه "شوشان" تاركا مصر تحت سيطرة "الساتراب" (لقب حاكم المقاطعات الفارسية)، وعلى الرغم من نجاح بعض الثورات ضد الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، إلا أن المصريون عجزوا عن الإطاحة بالفرس بشكل نهائي. بعد ضمها للإمبراطورية الفارسية، ضُمت مصر إلى جنب قبرص وسوريا أين شكلوا الساتراب السادس للإمبراطورية الفارسية الأخمينية: هذه المرحلة الفارسية لحكم مصر تعرف بالأسرة 27 والتي انتهت سنة 402 ق.م، الأسرة 28 (404-398 ق.م)، الأسرة 29 (398-380 ق.م)، ثم من 380-342 نجد الأسرة الثلاثون والتي كانت أسرة ملكية محلية حكمت مصر مع "نختنبو الثاني" (آخر فرعون ذو أصل مصري) مع وجود استعادة فارسية وجيزة يطلق عليها أحيانا تسمية "الأسرة 31" بدأت منذ 343 ق.م. بعد 11 سنة سلم الملك الفارسي "مازاسيس" عرش مصر دون قتال إلى الإسكندر الأكبر.

3-10-المرحلة الإغريقية والرومانو-بيزنطية (332 ق.م-641م):

في سنة 322 ق.م غزا الملك المقدوني "الإسكندر الأكبر" مصر أين لم يواجه سوى مقاومة بسيطة من الفرس الأخمينيين، في مقابل استقباله من المصريين "كمُحرر". قامت الإدارة على وضعها خلفاء الاسكندر وهم "أبناء لاغوس Lagos" المعروفين باسم "lagide" أو البطالمة على النموذج المصري وهذا في العاصمة الجديدة للدولة وهي "الإسكندرية". لقد مثلت هذه المدينة عنصر قوة وأبهة للسيطرة الإغريقية على مصر وتحولت إلى مقر للتعليم والثقافة في العالم القديم، وبها شيدت المكتبة الشهيرة والعظيمة "مكتبة الإسكندرية"، في حين أضاءت منارة الإسكندرية طريق مختلف السفن التي تنتقل في البحر المتوسط والتي تتدفق على المدينة، ما حولها لقطب تجاري واقتصادي هام وبها ازدهرت صناعة البردي. وبغية ضمان ولاء المصريين قام البطالمة بدعم التقاليد المصرية والتي لم تستبدل بالتقاليد الاغريقية، فشيدوا معابد جديدة على الطراز المصري ودعموا العبادات التقليدية المصرية وصوروا أنفسهم كفراعنة، كما دمجوا بعض التقاليد أو ما يسمى "التوفيق بين الديانات syncrétisme" داخل البانثيون المعبود وهذا لتقريب

المسافات بين المعبودات الاغريقية والمصرية ومثيل ذلك عبادة "سيرابيس"، كما برزت الزخارف التقليدية المصرية المتأثرة بالنحت الاغريقي. على الرغم من هذه الجهود لاسترضاء المصريين، إلا أن البطالمة في حكمهم لمصر واجهوا عديد الثورات من السكان الأصليين ومنافسات عائلية وحشود قوية في الإسكندرية وهذا منذ عهد الملك "بطليموس الرابع". إلى جانب ذلك، ومع تزايد حاجيات روما واعتمادها على القمح المصري، فإنها أبدت اهتماما بالغا بالوضع السياسي في مصر ومع استمرار الثورات المصرية، الطموح المتزايد للسياسيين والمعارضين السلوقيين تفاقم الاضطراب السياسي وهو ما دفع للتحرك للسيطرة على المنطقة، فاستغلت الرومان الحرب الأهلية الثانية بين "البومبيين" ويوليوس قيصر للدخول إلى مصر وإلحاقها شكليا، ثم مع حرب أوكتافيوس ضد "كليوباترا السابعة" و"ماركوس أنطونيوس" وهزمهم في المعركة البحرية "أكتيوم" تم إلحاق مصر في سنة 30 ق.م.

أصبحت مصر مقاطعة رومانية منذ سنة 30 ق.م وهذا بعد هزيمة ماركوس أنطونيوس وكليوباترا السابعة في معركة "أكتيوم" على يد "أوكتافيوس" الذي أصبح فيما بعد معروف باسم "أغسطس" (وهو أول إمبراطور روماني). لقد سدت مصر ثلث (3/1) حاجيات روما من القمح، في مقابل تغطية بلاد المغرب للثلثين المتبقيين ونتيجة سياسات روما التوسعية والاستغلالية فقد جوبهت بعديد الثورات التي قمعها الجيش الروماني الموضوع تحت قيادة محافظ مصر. حرص الرومان على تحصيل الضرائب الثقيلة وصد هجمات قطاع الطرق والتي أصبحت أكثر انتشارا في تلك الفترة. حافظت الإسكندرية على مكانتها المركزية وأهميتها العلمية والاقتصادية وكونها ملتقى للطرق المؤدية للشرق ومع الوقت تزايد الطلب الروماني على الغرائبية (exotisme) الشرقية. وعلى الرغم من العداء الروماني للتقاليد المصرية فإن التحنيط والآلهة التقليدية المصرية قد استمرت ولعل من أهم النماذج الفنية خلال هذه الفترة هو ازدهار فن "بورتريهات مومياوات الفيوم"، كما صور بعض الأباطرة أنفسهم على أنهم فراعنة، ولكن بدرجة أقل من البطالمة. بخصوص الإدارة فقد انتشر النموذج الروماني ويبدو أن حضور العنصر المصري داخلها كان متواضعا. منذ القرن الأول الميلادي بدأت تدخل وتنتشر المسيحية تدريجيا في مصر ومع تزايد أعداد المعتنقين بدأت التقاليد الشعبية المصرية في التراجع والزوال، ونتيجة لذلك ومع تبني السلطة الرومانية للمسيحية اختفت الثقافة الوثنية وحلت محلها المسيحية، وأيضا تراجعت اللغة المحلية واختفى استعمال الهيروغليفية التي لم تعد مفهومة إلا عند الكهنة والكاهنات في المعابد المصرية وحتى هذه المعابد تم تحويل بعضها إلى كنائس أو تم التخلي عنها وقد استمر تبعية مصر بعدها للبيزنطيون وهذا لغاية 641م تاريخ فتح مصر على يد عمرو بن العاص.

تجسيد تصوري لمنارة الإسكندرية الشهيرة

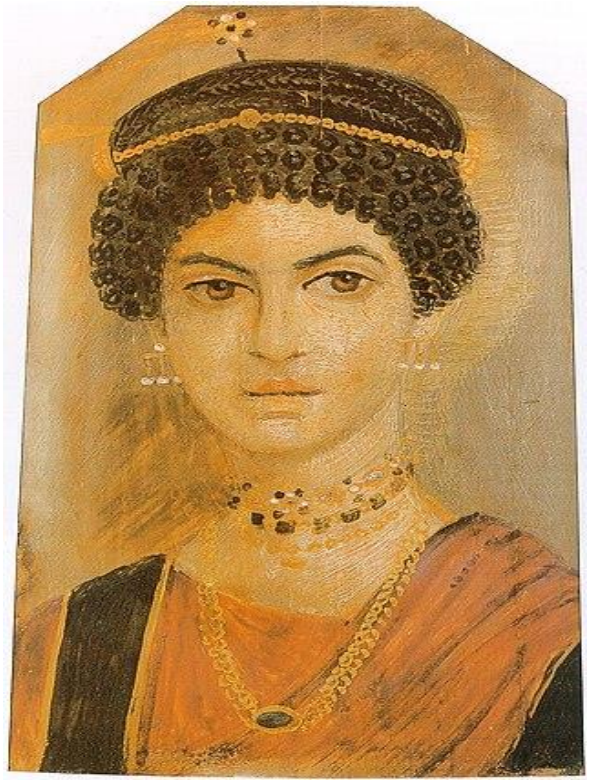

بورتريه يجسد التقاء الحضارة الرومانية مع الفرعونية

4-تنظيم الحضارة المصرية ومنجزاتها:

4-1-الدولة المصرية ونظام الحكم: تعد الدولة المصرية دولة ملكية ثيوقراطية (ذات حكم ديني)، فالفرعون إضافة لكونه الملك، فهو يورث الملك لابنه من بعده، فهو الإداري الرئيسي والقائد الأعلى للجيش، القاضي الأول والكاهن الأعلى لمصر. تعني كلمة الفرعون والمشتقة من المصرية القديمة "برعو" والتي تعني "المنزل الكبير/البيت الكبير" وهو ما يشير للقصر الملكي وهذا الحاكم لديه مهمة عليه استكمالها هي تطبيق حكم "ماعت" (إلهة الحق والعدل والنظام في الكون) على الأرض، أي ضمان الانسجام بين البشر والسماء وهو الضامن لأخلاق شعبه وهذا ما يساعد على الخلود. لممارسة مراقبته وسيطرته على الأراضي والموارد اعتمد "الفرعون" على إدارة مُكونة من موظفين يسيرون شؤونه بشكل يومي. يشرف على هذه الإدارة رجل ثقة يُدعى "الوزير/المستشار" والذي يلعب دور ممثل الملك ومُنظم عملية مسح الأراضي، الخزينة، مشاريع البناء والنظام القضائي والأرشيفي. بخصوص الجانب الإداري، قُسم الإقليم المصري إلى 42 جهة (محافظة) إدارية يُطلق عليها اسم "nomes" والتي يحكم كل واحد منها حاكم يحمل لقب "المحافظ nomarque" وهو مسؤول أمام "الوزير" على صعيد تقييم الأداء والكفاءة. لقد مثلث المعابد العمود الفقري للاقتصاد والحكم في مصر القديمة، فمثلما هي أماكن للعبادة وتقديس الفراعنة، فإنها مسؤولة عن جمع وتخزين ثروة الأمة ضمن نظام مُدار متكون من شونات ومديريات للخزينة العامة والتي تعيد توزيع الحبوب والأملاك.

رموز سلطة فراعنة مصر

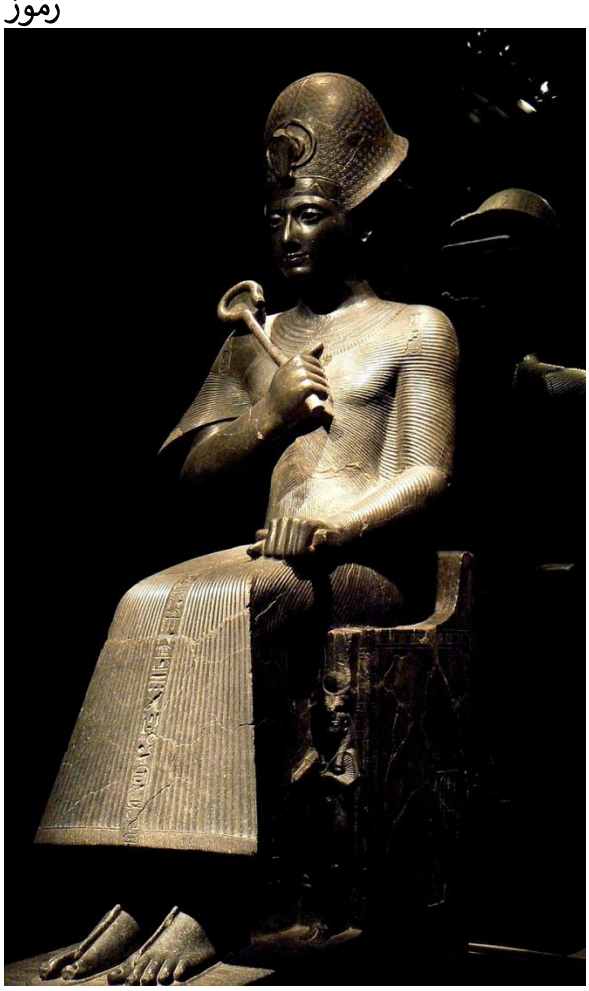

تمثال يجسد الفرعون "رمسيس الثاني" وهو جالس على صورة الفرعون والذي غالبا ما يجسد مع رموز السلطة الملكية العرش، يحمل صولجان "حكا" والتاج الأزرق=تاج الحرب (خبرش).

4-2-الاقتصاد في مصر القديمة:

-الموارد الطبيعية: عند تأمل الهندسة المعمارية المصرية فإننا نجدها غنية بالحجارة الزخرفية، بالنحاس والذهب، بخامة الرصاص وبالحجارة الشبه كريمة (ثمينة) وهو ما يعبر عن غناء مصر بموارد طبيعية متنوعة سمحت ببناء المعالم، بنحت التماثيل وبصنع أداوت ومجوهرات الموضة. لقد استخدم المُحنطون أملاح وادي "النطرون" في التحنيط والذي يزود أيضا بالجص (الجبس) الضروري للقصارة (plâtre). كما تواجدت بمصر تكوينات صخرية غنية بالخامات (صخور تحتوي على معادن) في كل من الأودية القاسية للصحراء العربية (الشرقية) ولسيناء وهذا ما استدعى تنظيم حملات كبرى من الدولة بغية الوصول إليها بأمان. كان هنالك أيضا العديد من مناجم الذهب في النوبة وأحد أقدم الخرائط المعروفة في العالم عثر عليها في منجم ذهب بهذه المنطقة. لقد مثل حوض وادي الحمامات مصدرا هاما للغرانيت، الجرواق والذهب، وكان حجر الصوان أول معدن يتم جمعه واستخدامه في صناعة الأدوات. علاوة على ذلك، فإن الفؤوس الحجرية (bifaces) هي من أقدم الشواهد على السكن في حوض النيل. في المقابل، تم تقطيع عقيدات الخامات بعناية إلى رقائق لصنع شفرات ورؤوس سهام ذات صلابة ومتانة معتدلة، ليتم بعدها تبني النحاس وهذا لنفس الأسباب والأغراض. استخدم المصريون رواسب "الغالينا" (المعدن الخام الأهم للرصاص) المتواجد بجبل الرصاص في أثقال شبكة الصيد ولخيوطهم الرصاصية ولإنجاز تماثيلهم الصغيرة. لكن رغم ذلك، مثل النحاس المعدن الأكثر شيوعا في صناعة الأدوات في مصر القديمة حيث كان يصهر في أفران انطلاقا من خام مستخرج من "مالاكيت Malachite" يعود لسيناء.

لقد جُمع الذهب عن طريق غسل الرواسب الغرينية لاستخراج شذرات الذهب أو بطحن خامات الكوارتزيت المتضمنة للذهب، أما رواسب الحديد فقد تم العثور عليها في مصر العليا واستغلالها خلال الفترة المتأخرة. توفرت مصر على حجارة البناء العالية الجودة، فنجد أنه كان يتم نقل الحجر الجيري على امتداد حوض النيل، واستخرج الغرانيت من أسوان، بينما يأتي البازلت والحجر الرملي من وديان الصحراء العربية. أما رواسب الحجارة الزخرفية على غرار الصخر السماقي، الجرواق، المرمر والعقيق الأحمر فقد كانت منتشرة في الصحراء العربية (الشرقية) وبدأ جمعها قبل ظهور الأسرة الأولى وخلال الفترة البطلمية والرومانية عمل عمال المناجم في رواسب الزمرد في وادي سكيات وجمشت وادي الهودي.

-الزراعة: عند الحديث عن الزراعة في مصر القديمة نلاحظ ذلك التناقض بين الصورة التي يقدمها المصريون القدماء عن صورة الزراعة وتلك التي يقدمها الزوار الأجانب: وصف وقدم الكتبة مهنة الزراعة بأنها من أكثر المهن إرهاقا والغير جذابة في الأشغال اليدوية، أما الزوار الإغريق مثل هيرودت وديودور الصقلي فقد فتنوا بهذه الأرض أين تنمو النباتات دون بذل الكثير من الجهد. الأمر المؤكد من كل هذا أن الزراعة المصرية القديمة كانت ناجحة وهذا نتيجة جملة من العوامل الجغرافية المواتية وعلى رأسها خصوبة الأراضي الناتجة عن الفيضانات السنوية للنيل. نتيجة لذلك، كان الانسان المصري قادرا على إنتاج غذاء وفير يسمح للسكان بتكريس مزيد من الوقت والموارد للأنشطة الثقافية (والزراعية)، التقانية والفنية وقد كان مردود الأراضي حاسما في جباية الضرائب التي تُحسب على أساس مساحة الأراضي المملوكة للشخص. اعتمدت الزراعة في مصر بشكل أساسي على دورة النيل، فوفقا للمصريين فإن السنة تنقسم إلى ثلاث مواسم: موسم الفيضان (أخت Akhet)، موسم الزرع (بيريت Péret) وموسم الحصاد (شيمو Chémou). خلال موسم الفيضان الذي يستمر من جوان إلى سبتمبر تترسب على ضفاف النيل طبقة من المعادن الغنية بالطمي والتي تعد مثالية لنمو المزروعات. بعد انحسار مياه الفيضان يحرث المزارعون أراضي حقولهم ويزرعونها، لتبدأ الحياة النباتية نموها من شهر أكتوبر إلى فيفري، ونتيجة لقلة هطول الأمطار في مصر تم سقي الحقول بالخنادق (الحفير fossés) والقنوات المتصلة بالنيل. خلال الفترة الممتدة من مارس إلى ماي يستخدم المزارعون المناجل لحصاد مزروعاتهم والتي تُدرس بعد ذلك بمدرس وهذا لفصل

القش (paille) عن الحبوب. في نهاية عملية التذرية بالرياح يتم طحن الحبوب إلى دقيق أو يتم تخميرها بصنع البيرة، كما يتم تخزينها لاستخدامها لاحقا.

زرع المصريون عديد المزروعات: القمح الثنائي الحبة (قمح إيمر)، الشعير وأنواع أخرى من الحبوب والتي تستخدم جميعا لإنتاج المادتين الغذائيتين الأساسيتين عند المصريين: الخبز والبيرة. في حين، كان يتم اقتلاع الكتان قبل أن يبدأ ازهاره والذي كان يزرع لسيقانه الليفية. كان يتم فصل هذه الألياف على امتداد طولها ثم يتم غزلها لاستخدامها في نسج الملابس والملاءات، كما استخدم البردي الذي ينمو على ضفاف النيل في صناعة الوراق. بجوار السكنات وعلى الأراضي الأكثر ارتفاعا تم زراعة الفواكه والخضر في قطع صغيرة للحدائق أين تروى يدويا ومن بينها نجد؛ الكراث، الثوم، البطيخ، القرع والبقول، الخس والعنب للنبيذ.

مشهد من قبر "منة" يجسد غلة الحبوب وعملية الدرس.

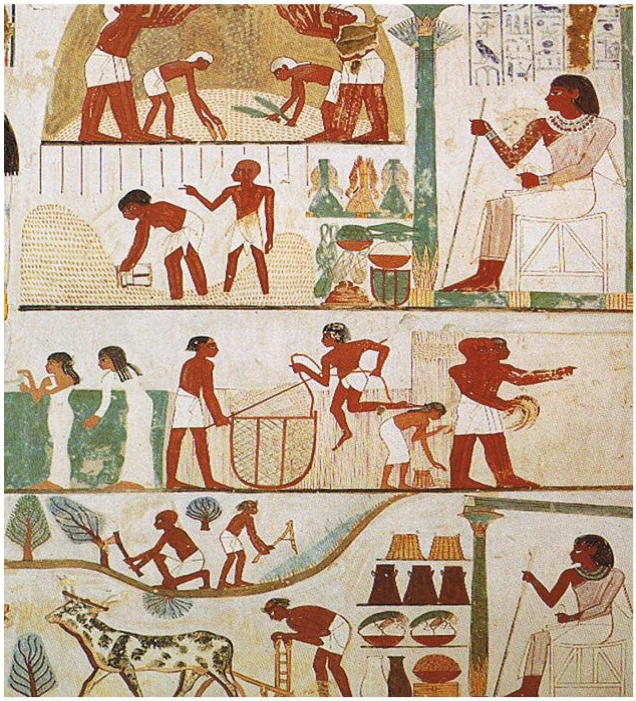

نقش جنائزي بارز يظهر حرث الحقول، حصد المزروعات ودرس الحبوب.

الشادوف: أداة رفع المياه في مصر القديمة والذي ما زال مستخدما في بعض المناطق.

فيضان النيل من جويلية لأكتوبر وجلبه للطمي وهو ما يضمن محصول جيد للمزارعين المصريين.

-التجارة: لقد كان الجزء الأكبر من الاقتصاد المصري ممركزا وخاضعا لرقابة شديدة وعلى الرغم من أن المصريين لم يضربوا العملة حتى الفترة المتأخرة، فإنهم استخدموا نظاما اقتصاديا قائم على المقايضة وهذا باستعمال أكياس حبوب أو "ديبن deben" (13.6غ في الدولة القديمة ثم ما بين 90-91غ في الدولة الوسطى والحديثة) ذهبي أو فضي يزن حوالي 91غ. تُدفع أجور العمال على شكل حبوب أين يتحصل عامل بسيط على خمسة أكياس ونصف (أو 200 كلغ) من الحبوب شهريا، بينما يكسب المُناظر (رئيس العمال) سبعة أكياس ونصف (أو 250 كلغ). تم تثبيت أسعار السلع والمواد الغذائية في كامل إقليم الدولة وتم تقييدها في قوائم لتسهيل المبادلات: على سبيل المثال يكلف القميص خمسة ديبن نحاسي، بينما تكلفة البقر 140 ديبن، وبالتالي فإنه يمكن استبدال الحبوب بسلع أخرى وفق قائمة الأسعار الثابتة. منذ

القرن الخامس قبل الميلاد وما بعده دخلت العملة إلى مصر من الخارج والتي استعملت في البداية كمقادير قياسية للمعادن الثمينة بدلا من العملات الحقيقية، ثم بعد قرون بدأ كبار التجار الدوليون في الاعتماد على العملة والتعامل بها.

أقام المصريون علاقات تجارية مع جيرانهم بغية الحصول على المنتجات الغريبة (الدخيلة) والنادرة والتي يتعذر الحصول عليها في مصر. خلال فترة ما قبل الأسرات وضعوا طريقا تجاريا مع النوبة للحصول على الذهب والبخور، كما تم تنصيب مستوطنة في جنوب بلاد كنعان. أقاموا كذلك روابط تجارية مع فلسطين وهوما يتضح من خلال أباريق الزيت ذات الطراز الفلسطيني والتي عثر عليها في قبور فراعنة الأسرة الأولى وامتلك "نارمر" خزف مصري منتج في بلاد كنعان ومصدر إلى مصر. منذ الأسرة الثانية تاجرت مصر مع "بابل" التي كانت مصدرا هاما للخشب العالي الجودة. في عهد الأسرة الخامسة أقيمت التجارة مع بلاد البنط التي زودت مصر براتنجات عطرية، بالذهب، الأبنوس، العاج والحيوانات البرية مثل القردة والرُباح. اعتمدت كذلك على علاقاتها التجارية مع الأناضول وهذا لشراء القصدير، إضافة إلى احتياطات إضافية من النحاس الضروريين لصناعة البرونز، كما قدر المصريون قيمة "العوهق" المجلوب من أفغانستان. إضافة لهؤلاء، فقد كان الاغريق والكريتيون شركاء تجاريين لمصر حيث يزودونها بزيت الزيتون. بهدف خلق توازن في ميزانها التجاري صدرت مصر الحبوب، الذهب، الكتان والبردي ومنتجات نهائية على غرار الزجاج والأغراض الحجرية.

3-4-القضاء، المجتمع والثقافة:

-النظام القضائي: نجد في قمة النظام القضائي المصري شخص الفرعون المسؤول عن إصدار القوانين، إقامة العدل والحفاظ على النظام العام وهو مفهوم أطلق عليه المصريون اسم "ماعت". في الواقع، على الرغم من عدم وجود أي مُدونة قانونية، فإن الوثائق القضائية المتعلقة بتلك الفترة تُظهر بأن القانون المصري يقوم على الفطرة السليمة القائمة على التمييز بين الخير والشر ويقوم قبل كل شيء على حل النزاعات وإنهاء الاتفاقات بدلا من مجموعة من القوانين المعقدة. كلفت مجالس الحكماء المعروفة باسم "الكينيبيت" خلال الإمبراطورية الجديدة بالفصل في القضايا القضائية التي تنطوي على مطالبات صغيرة ونزاعات طفيفة على المستوى المحلي. في حين، تحال القضايا الأخطر والمتعلقة بجرائم القتل والمعاملات العقارية الهامة ونهب القبور إلى "الكينيبيت الأكبر" الذي يرأسه الوزير أو الفرعون. في المحاكمات يُقسِم المُدعون والمدعى عليهم على قول الحقيقة كاملة، وفي بعض الحالات تتولى الدولة دور المدعي العام والقاضي. من النادر أن يتعرض المتهم للضرب لانتزاع اعترافات وأسماء المتآمرين وسواء كانت التهم خطيرة أو لا، فإن الكتبة العدليين يدونون ملحق يتضمن الشكوى، الشهادة وحكم القضية للرجوع إليه في المستقبل. تبعا لخطورة الأفعال الإجرامية تقع العقوبات: تنحصر العقوبات الخاصة بالجرائم الصغيرة بين غرامة مالية إلى تشويه الوجه وقد تصل إلى الضرب والنفي. في المقابل، يُحكم على أخطر المجرمين مثل القتلة ولصوص القبور بالإعدام، إما بقطع الرأس أو بالغرق وحتى بالخازوق وفي الحالات الخطيرة للغاية قد تمتد العقوبة لتشمل أسرة المجرم. بدءً من الإمبراطورية الحديثة لعب "المشاور الحكيم (شخص على اتصال بالإله)" دورا رئيسا في النظام القانوني حيث حقق العدالة في الشؤون المدنية والجنائية: يتضمن الإجراء سؤال الإله بسؤال يكون جوابه بنعم أو لا كدليل صحة أو زيف قضية ما، وبدعم من عدد من الكهنة يصدر الإله حكمه باختيار إجابة أو أخرى أو الانحناء إلى الأمام أو الخلف، أو الإشارة إلى إجابة مكتوبة على قصاصة البردي أو على الشقفة المرسومة (الأوستراكا).

-اللغة والكتابة: تعد اللغة المصرية القديمة من اللغات الأفرو-آسيوية وهي ذات ارتباط نسبي مع اللغة الليبية القديمة ومع اللغات السامية وقد عاشت لفترة طويلة حيث كتبت منذ حوالي 3150 ق.م ومرت بعد مراحل: المصرية القديمة، المصرية الوسطى (الكلاسيكية)، المصرية الجديدة، الديموطيقية والقبطية. لا تظهر أساليب الكتابة المصرية أي اختلافات قبل القبطية، على أنها عرفت خصوصيات جهوية حول "ممفيس" ولاحقا حول "طيبة". تعد المصرية القديمة لغة تركيبية ثم أصبحت فيما بعد لغة معزولة وقد خلق المصريون أدوات المعرف والنكرة عوضت الحالات النحوية القديمة. تم استبدال الكتابات الهيروغليفية، الهيراطيقية والديموطيقية بأبجدية قبطية ذات صوتيات أكثر والتي لا تزال مستخدمة في الشعائر الدينية للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ولا يزال من الممكن العثور عليها في العربية المصرية. بالعودة

للكتابة، فإن ظهرت كما أشرنا في القرن الثاني والثلاثون قبل الميلاد وهي كتابة تتكون من حوالي 500 رمز يُمكن أن تمثل كلمة، صوت أو مُحدَدَة، ويمكن أن يكون للرمز نفسه استخدامات متعددة في سياقات مختلفة. تعد هذه الكتابة رسمية حيث تستعمل في المعالم المشيدة من الحجارة وفي القبور مع تقديمها بشكل مفصل في مختلف الأعمال الفنية. في الاستخدام الشائع، استخدم الكتبة شكلا من أشكال الكتابة السريعة (مختصرة) تسمى الهيراطيقية (الشعبية) والتي كانت أسهل وأسرع في الكتابة. وإذا كان من الممكن كتابة الهيروغليفية في أسطر أو أعمدة في الاتجاهين (من اليمين إلى اليسار أو من اليسار لليمين)، فإن الكتابة الهيراطيقية تُكتب دائما من اليمين إلى اليسار وعادة ما تكون أفقية، كما ظهر شكل جديد من الكتابة هو الديموطيقية وفرض نفسه وهذا دائما إلى جانب الهيروغليفية. في حوالي القرن الأول ميلادي بدأ استخدام الأبجدية القبطية جنبا إلى جنب مع الكتابة الديموطيقية والتي اعتمدت (أخذت) من الاغريقية مع إضافة بعض العلامات الديموطيقية.

على الرغم من أن الهيروغليفية ظلت تستخدم بروتوكوليا لغاية القرن الرابع ميلادي، إلا أن عددا قليل فقط من الكهنة من كان بإمكانهم قراءتها، فقد أدى تفكك المراكز الدينية التقليدية إلى الفقدان النهائي لمعرفة كتابة وفهم الهيروغليفية ورغم المحاولات البيزنطية والعربية لفك رموزها إلا أنها باءت بالفشل ولم يتم التمكن من فك الهيروغليفية إلا في سنة 1822 مع اكتشاف حجر الرشيد: نصب من حجر الجرانيت مكتشف سنة 1799 ومؤرخ بسنة 196 ق.م زمن حكم بطليموس الخامس والذي يتضمن ثلاث نصوص: العلوي بالهيروغليفية القديمة، الأوسط بالهيراطيقية والأدنى بالإغريقية القديمة وقد جاء التفكيك بعد سنوات من البحث قام بها كل من الباحثين "توماس يونغ Thomas Young" وجان فرانسو شامبليو.

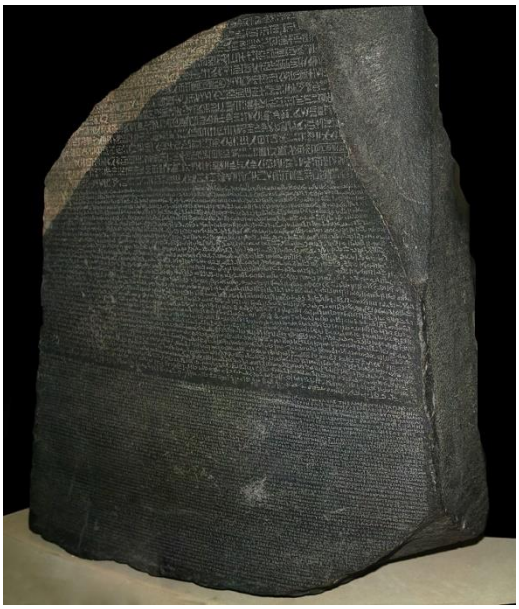

حجر الرشيد الذي استنادا عليه تم فك الكتابة المصرية القديمة.

شكل الكتابة الهيروغليفية على معبد "كوم أمبو".

-إسهامات المصريين في الأدب:

ظهرت الكتابة لأول مرة مع الملكية وهذا على ألقاب وعلامات الأغراض المكتشفة في القبور الملكية وهي المهمة التي أسندت للكتبة الذين عملوا في "بر عنخ" (بيت الحياة) وهو مبنى ملحق بالمعابد الكبرى ويمكن اعتباره مؤسسة للأعمال العلمية والدينية عند المصريين القدماء، أي مدرسة لتعلم الكتابة وتخريج الكتبة وكلية لدراسة باقي العلوم، لذلك نجد أنه يحتوي على مكاتب، مكتبة (دار الكتب) ومراصد. تعد نصوص الأهرامات ونصوص التوابيت من أشهر الأعمال الأدبية لمصر القديمة والتي كتبت بالمصرية الكلاسيكية والتي ظلت لغة الكتابة حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. في حين، تم استخدام اللغة المحكية ابتداءً من فترة الدولة الحديثة كلغة كتابة في الوثائق الإدارية للرعامسة، الشعر الغزلي والحكايات،

وهو ما نجده كذلك في النصوص الديموطيقية والقبطية. خلال هذه الفترة الطويلة تطورت تقاليد الكتابة الخاصة بالسير الذاتية المدونة على القبور مثل تلك الخاصة بحاكم مقاطعة أسوان "حيرخوف" والوزير "ويني". لقد تطور في مصر صنف أدبي يطلق عليه "الوصايا" والذي هدف أصحابه منه إلى إيصال تعاليم ونصائح النبلاء المشهورين إلى الشعب ومن أمثلها الشهيرة نجد بردية "إيبوير" المؤرخة بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد وهي قصيدة رثائية تصف الكوارث الطبيعية والانتفاضات الاجتماعية، ولدينا كذلك ما كتبه الحكيم "بتاح حيت" الذي كتب تعاليم عرفت باسمه، لهذا عُد مؤلفه أول مؤلف في تاريخ البشرية عن الأخلاق وحسن السلوك والذي عاصر الملك "جد كارع" من الأسرة الخامسة وعمل وزيرا له.

علاوة على ذلك، يُعد عمل "قصة سنوحي" واحد من أفضل أعمال الأدب المصري القديم وأكثرها انتشارا وقد حرر في عهد الأسرة الثانية عشر (الدولة الوسطى)، كما تضمنت بردية "وستكار" سلسلة من القصص التي رواها "خوفو" إلى أبناءه عن عجائب يقوم بها الكهنة والسحرة، كما تعد "تعاليم أمينيموبي" أحد الأعمال الأدبية البارزة في الشرق الأدنى والمندرجة ضمن أدب الحكمة. في أواخر الدولة الحديثة أصبحت اللغة العامية (المصرية الجديدة) هي المستخدمة في كتابة عديد الأعمال الشعبية مثل قصة "ون آمون" وتعاليم "آني"/ أين تحكي الأولى عن نبيل غادر لشراء الأرز من لبنان ليتعرض للسرقة في طريقه وراح يكافح من أجل العودة إلى مصر. منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد تم سرد القصص والتعاليم كالتعاليم الشعبية لأونكشوشونكي وكذلك الوثائق الشخصية والمهنية بالديموطيقية والتي استمر المصريون يكتبون بها قصصهم لغاية الفترة الإغريقو-رومانية.

-الحياة اليومية للمصري القديم: ارتبط معظم المصريون بأرضهم وقد كانوا يعيشون في منازل مبينة من الطوب اللبن وهي مصممة للحفاظ على برودة الجو في الأيام الحارة وهذا المنزل لا يعيش فيه إلا أفراد الأسرة المباشرين. لكل منزل مطبخ ذو سقف مفتوح والذي احتوى على حجر الرحى لطحن الدقيق وفرن صغير. كانت الجدران مطلية بالأبيض وبالإمكان تغطيتها بقماش النجود المصبوغ، في حين غطيت الأرضيات بحصائر من القصب (roseau)، أما المقاعد فشكلت من الخشب مع وجود ألواح خشبية تعلو الأرضية وطاولات فردية تشكل الأثاث. اهتم المصريون بالنظافة والمظهر، فمعظمهم يستحمون في النيل ويستخدمون صابون عجيني من دهن الحيوانات والطباشير. يحلق الرجال أجسادهم كاملة لغرض النظافة وتغطي العطور طيبة الرائحة والمراهم الروائح الكريهة. صُنعت الملابس من ملاءات الكتان البسيط المُبيض ولم يكن الرجال والنساء الأغنياء يرتدون دائما الباروكة (الشعر المستعار) مثلما هو معتقد، بل المجوهرات وأدوات التجميل، في حين عاش الأطفال بلا ملابس لغاية عمر البلوغ في حوالي 12 ربيعا، وفي هذا العمر تم ختن الأبناء وحلق رؤوسهم. بخصوص تقاسم المسؤوليات نجد أن الأمهات كن مسؤولات عن رعاية الأطفال، بينما يقوم الأب بتوفير الدخل للعائلة. تكون النظام الغذائي الأساسي للمصريين من الخبز والبيرة، ثم يُستكمل بالخضر مثل البصل والثوم والفواكه مثل التمر والتين. في أيام الاحتفال يحضر النبيذ واللحوم واللذين تستهلكهما الطبقات العليا بانتظام، كما يمكن تمليح الأسماك، اللحوم والدواجن أو تجفيفها، ثم طهيها على يخنة (ragout) أو شويها على شواية. شكلت الموسيقى والرقص جزءً من الاحتفالات المصرية وهذا طبعا للذين بمقدورهم تحمل تكاليفها: تم استخدام عديد الآلات الموسيقية مثل الفلوت، القيتار، لكن الأكثر شيوعا هما البوق والأبوا، وتم استخدام الجرس (الناقوس)، الصنج، الدف الصغير والطبل في عهد الدولة الحديثة وجلب العود والسمسمية من آسيا، وقد استعمل السيستروم في المراسم الدينية. كان لقدامى المصريين عديد الأنشطة الترفيهية وبالأخص الألعاب والموسيقى: تعد "السينيت" لعبة جماعية يتم نقل البيادق بشكل عشوائي وقد كانت شائعة منذ العصور القديمة ونجد كذلك لعبة "الميحن mehen" التي تلعب على صينية دائرية، كما كانت ألعاب الخفة والكرات منتشرة بين الأطفال مع وجود مشهد مصارعة في مقبرة بني حسن، أما الأغنياء فقد كانوا يستمتعون بالصيد وملاحة ركوب القوارب.

-الهندسة المعمارية: لقد خلفت لنا العمارة المصرية القديمة معالم أثرية شهيرة أشهرها على الإطلاق أهرامات الجيزة ومعابد الكرنك. لقد تم تنظيم وتمويل مشاريع البناء من قبل الدولة الأغراض دينية أو تذكارية وطبعا لتعزيز سلطة الفرعون (الدعاية السياسية). كان قدماء المصريون بناة مهرة وهذا على الرغم من استعمالهم وسائل بسيطة، لكنها فعالة،

كما استخدموا أدوات مراقبة وقد كان بإمكان المعماريين أن يشيدوا مباني ضخمة من الحجارة بكل إحكام ودقة. تُظهر بقايا بعض قصور الدولة الحديثة مثل تلك المتواجدة في الملقطة وتل العمارنة بأن الجدران والأسقف زخرفت بغزارة بمشاهد لشخصيات، عصافير، أحواض، معبودات وتصميمات هندسية. هنا نسجل أن الهياكل المعمارية الهامة على غرار المعابد والمقابر والتي خطط لتعيش للأبد هي مشيدة من الحجارة وليس الطوب. من أقدم المعابد المصرية المحفوظة نجد تلك الموجودة في الجيزة وهي مكونة من قاعات بسيطة مغطاة مع بلاطات حجرية مدعمة بأعمدة. في الدولة الحديثة شيد المعماريون صروحا (pylônes) أمام ساحات مفتوحة وأبهاء معمدة عند مدخل حرم المعبد حسب العادة والتي استمرت حتى الفترة الإغريقو-رومانية. كان أول شكل قبري في مصر القديمة هو المصطبة: عبارة عن منصة مستطيلة مغطاة بالطوب أو الحجر وهي مبنية فوق حجر دفن تحتأرضية، لهذا نعتبر أن هرم "زوسر" المدرج هو في الواقع سلسلة من المصاطب الحجرية المكدسة فوق بعضها البعض، وهو ما ساعد فيما بعد على بناء الأهرامات خلال الدولتين القديمة والوسطى، ثم تخلى حكام مصر عن تشييدها لصالح المعابد التحتأرضية (hypogées) المحفورة في الصخور. للإشارة، فإنه مثلما شارك العبيد في تشييد مختلف المنشآت (المعابد، القبور، الأضرحة والأهرامات)، فإن الفلاحين كانوا بدورهم يشاركون في هذه العملية.

معبد حورس في إدفو

أعمدة البهو المعمد لمعبد الكرنك

إعادة تشكيل الهرم

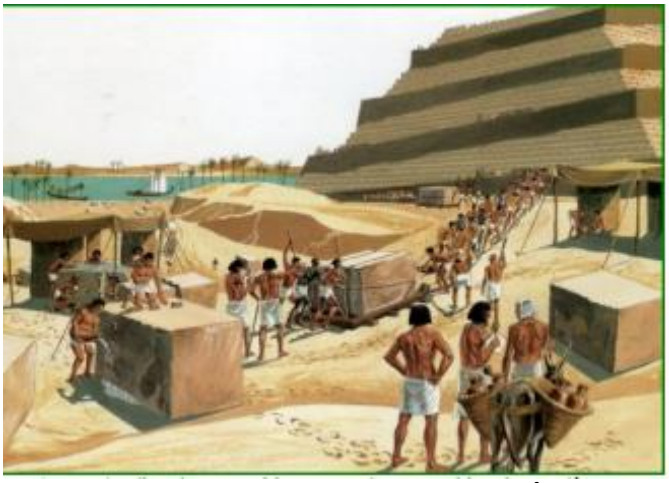

أشغال تشييد الأهرام التي لا تزال للآن غامضة

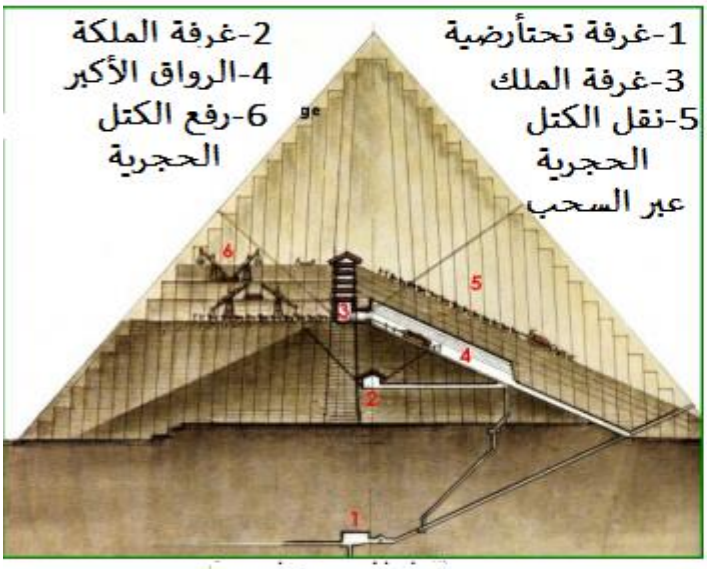

مقطع هرم خوفو

أهرامات الجيزة: في الأعلى هرم خوفو، في الوسط هرم خفرع وفي الأسفل هرم منكاورع

لقد استغرق المصريون القدماء أكثر من 20 سنة لبناء الأهرامات الكبيرة وهي مُنجزة من أكثر من مليوني كتلة حجرية تم نقلها بالقوارب عبر نهر النيل بحيث أن متوسط وزن كل واحد منها 2500 كليوغرام. قام البناؤون بقطع تلك الكتل ما جعلها مهذبة وسهل وضعها وقد تم رفع تلك الحجارة بواسطة منحدرات ترابية مهيئة حول الهرم. يعد الهرم الذي بناه "خوفو" في حوالي 2570 ق.م الأكثر ضخامة ومهابة: يبلغ طول جانبيه 230م ويبلغ ارتفاعه 146م. ظلت هذه المنشأة هي الأكثر ارتفاعا في العالم لغاية تشييد برج إيفل في باريس سنة 1889.

مسلة الأقصر بميدان الكونكورد بباريس.

مسلة "تحتمس الثالث" بإسطنبول، تركيا.

مسلة سنوسرت الأول بالمعلة، قرب المطرية.

-المعتقدات الدينية: إن الايمان بوجود الآلهة والحياة الآخرة هي متجذرة وبعمق في الحياة المصرية القديمة وهذا منذ البداية، فالفرعون استمد سلطته من "حق الملوك الإلهي". نتيجة لذلك، تشكل البانثيون المصري من معبودات (آلهة) ذات قوى خارقة للطبيعة والتي لجأ إليها للحصول على المساعدة والحماية. مع ذلك، فإن جميع الآلهة المصرية لم تكن بالضرورة جالبة للخير، لذلك اعتقد المصريون أنه ينبغي استرضائها بالقرابين والصلوات. تغيرت بنية هذا البانثيون باستمرار نتيجة ترقية آلهة جديدة في التراتبية الدينية، على أن الكهنة لم يبذلوا أي مجهودات لتنظيم أساطير الخلق المختلفة والتي تكون أحيانا متناقضة وسط نظام ديني منسجم. لم تعتبر المفاهيم المتنوعة للألوهية على أنها متناقضة، بل على كونها أوجه (مظاهر) مختلفة للحقيقة. كانت تُبجل الآلهة في المعابد التي يديرها الكهنة نيابة ولصالح الفرعون، في وسط المعبد نجد الحرم الذي يوضع فيه تمثال، على أن المعابد لم تكن أماكن عبادة مفتوحة للجمهور بل تفتح لهم في مناسبات نادرة ومن بينها أيام الاحتفالات الدينية أين يُحمل تمثال الإله إلى خارج المعبد للسماح للزوار بتكريمه. في الأوقات العادية، يتم عزل النطاق الإلهي عن العالم الخارجي ولا يصل إليه إلا مسؤولي المعبد، وبإمكان المواطنين العاديين تبجيل التماثيل في منازلهم وتقديم تمائم الحماية من قوى الشر. بعد الدولة الحديثة، تلاشى دور الفرعون كوسيط روحي لصالح العبادة المباشرة للآلهة وهو الأمر الذي أدى لتطوير نظام وساطة الوحي والنبوءة (الأوراكل) بحيث تم توصيل إرادة الآلهة مباشرة بالناس. اعتقد المصريون بأن كل انسان مشكل من عناصر جسدية وروحية، فإضافة إلى جسده، فإن كل انسان يمتلك ظلا (swt) وشخصية أو روح (ba) وقوة حيوية (ka) واسما. اعتبر القلب أكثر من الدماغ مركز الأفكار والعواطف. بعد الموت تتحرر العناصر الروحية للإنسان من الغلاف الجسدي (البدني) حيث يمكنها التنقل حسب الإرادة. لذلك، فإنهم لا يحتاجون إلا لبقايا جنازتهم أو بديل مثل التمثال واللذان يحتفظ بهما ليكونا بمثابة منزل دائم.

كان هدف الإنسان المتوفي هو الانضمام إلى قوته الحيوية وإلى شخصيته (روحه) وهذا ليصبح "ميت مبارك" والذي يعيش على شكل "روح ممجدة" (آخ Akh)، ولكي يحدث هذا لابد أن يخضع المتوفى لمحاكمة يُوازن فيها القلب مع "ريشة الحقيقة": إذا تم اعتبار الشخص جديرا، فيمكنه الاستمرار في الأرض بشكل روحي.

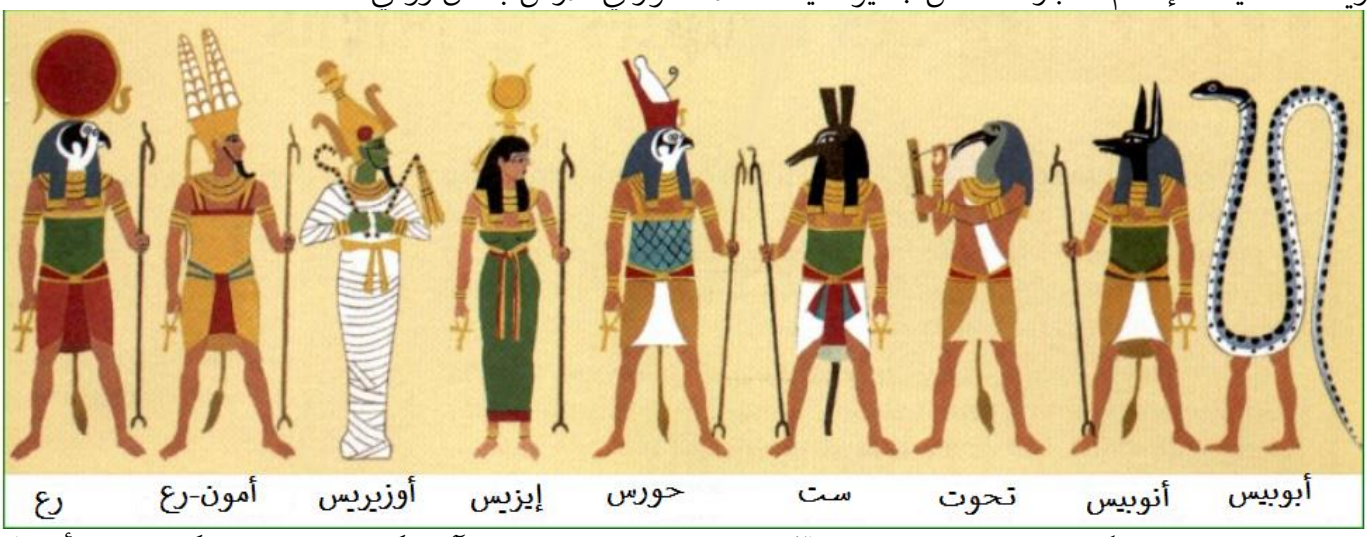

على العموم، لقد كان المصريون متعددي الآلهة (polythéistes) وهي آلهة كثيرة وغريبة ويمكن القول أنها لا تحصى. في حوالي 1365 ق.م حاول "أمنحتب الرابع" (أخناتون) فرض إله واحد هو "أتون"، لكن محاولته باءت بالفشل. كان للآلهة المصرية مظهر غريب: صُور بعضها في شكل بشري، لكن معظمها اتخذ مظهرا حيوانيا أو ذو رأس حيواني على جسم بشري. كان للآلهة المصرية مغامرات يُطلق عليها تسمية "الأساطير" وأشهرها هي أسطورة "أوزيريس": هو فرعون جد مشهور قتل على يد أخيه "ست" الذي استولى على العرش، على أن زوجته "إيزيس" وهبته من جديد الحياة وقادته إلى مملكة الموتى التي أصبح ملكا عليها، ثم انتقم له ابنه "حورس" من خلال الإطاحة بسيت. يبدأ تاريخ مصر مع "أتوم" (الشمس) والذي خلق نفسه عندما خرج من المحيط الأولي الأكبر (نوو أو نون). خلق "أتوم" كل من إله الهواء "شو" وإله الرطوبة والغيوم "تفنوت"، نتيجة لذلك شكل "شو" و"تفنوت" أول زوج إلهي. تحت أوامر "رع" الغيور انفصل "شو" عن إله الأرض "جب Geb" و"نوت" (إله السماء) وهذا لإنهاء عناقهما. نجد أن العديد من الآلهة مهمتها هي حماية البشر وضمان الانسجام على الأرض: "رع" و"أمون رع" يجلبان الضوء والحرارة، يدافع "أوزيريس" عن القوانين، يحمي الموت ويسمح بانبعاث النبيت والفيضان، أما "إيزيس" فهي حارسة الخصوبة والمرضى، وهذه الآلهة إن لم ترض عن البشر، فإنه يمكنها التخلي عن مصر ما يدخلها في الفوضى (حسب المعتقد المصري).بغية منع اضطراب الزمن أو تواري الفيضان أو حدوث المجاعة عبد المصريون تلك الآلهة أين قدموا

لها القرابين والعطايا، قاموا بالصلوات واحترموا العديد من المحرمات مثل عدم إيذاء الحيوان المفضل لأي إله وتم العبادة في المعابد المهيبة والتي لا يدخلها إلا الفرعون والكهنة.

منذ عصر الدولة الحديثة تم وضع "**كتاب الموتى**" في القبر مع "الأوشبتي" وهي تماثيل معدة للعمل لصالح المُتوفي في الحياة الآخرة. في المشهد الذي أمامنا تظهر عملية "وزن النفوس": على اليسار يصل الميت برفقة "أنوبيس"، على الصينية اليسرى للميزان يوضع قلب الميت، وعلى الصينية اليمنى "ريشة العدالة" (الإلهة ماعت) وهي رمز البراءة، فليتهم الوحش "عمعموت" القلب إذا كان أثقل من الريشة ما يُذهب الشخص إلى الفناء، وإن رجحت كفة الريشة فيذهب إلى الفردوس. بهذا الخصوص، نجد أن للإله "أوزيريس" أهمية بالغة، فمثلما تجسد أسطورته سرد أصول مصر، فإنها تفسر الايمان بالحياة الثانية بعد الموت. نتيجة لذلك، نجد أن المصريون الأكثر ثراءً (وبالأخص الفراعنة) مارسوا تحنيط وموميائية موتاهم أين وضعوا في توابيت ثم دفنوا في أهرامات أو مقابر ضخمة في حافة الصحراء. للإشارة، فقد كان التحنيط، صيانة المعابد، المقابر، تماثيل الآلهة، من مسؤوليات رجال الدين الذين كانوا يتمتعون بقوة ونفوذ كبيرين.

-العلوم والتكنولوجيا:

حقق المصريون القدماء مستوى قدير في الرقي والإنتاجية العلمية في ميادين التكنولوجيا، الطب والرياضيات، حتى أن التقليد التجريبي المبكر ينسب للمصريين وهو ما تشير إليه برديتي "إدوين سميت" و"إبيرس"، ولن نبالغ في القول أن جذور المنهج العلمي ظهرت عند المصريين القدماء. قبل عهد الدولة القديمة طور المصريون مادة زجاجية عرفت باسم "الفايونس faïence"والتي استخدموها كأحجار كريمة شبه اصطناعية. هذا الفايونس هو عبارة عن خزف غير مصنوع من الصلصال بل من "السيليكا" مع كمية قليلة من الجير الحي والصوديوم وكذلك صبغة عادة ما تكون من النحاس وقد وظف في صناعة اللؤلؤ، القرميد، التماثيل الصغيرة وأدوات الخردة. كانت هنالك عديد الطرق لصناعة الفايونس أشهرها تلك التي يتم فيها خلط المكونات المسحوقة في عجينة ووضعها في قالب من الصلصال ثم إزالتها. عبر تقنية مشابهة، أنتج المصريون القدماء خضاب يسمى "الأزرق المصري" أو "التلبيد الأزرق" والذي يتم انتاجه عن طريق انصهار (أو تكتل) لكل من السيليكا، النحاس، الجير والقلويات مثل النطرون: هذا المنتج يمكن سحقه واستعماله كخضاب. وصل المصريون لمقدرة على صناعة مجموعة متنوعة من الأغراض الزجاجية وبمهارة بالغة، على أنه من غير المعروف إن طوروا هذه المنظومة بمفردهم أو عبر أخذها من شعوب أخرى كالكنعانيين.

إذا عدنا للطب، فإن المشاكل الطبية التي برزت في البيئة المصرية قد دفعتهم لاهتمامهم بهذا الميدان. من المعروف أن العيش والعمل بجوار النيل قد عرض السكان لمخاطر الإصابة بالأمراض الطفيلية من قبيل الملاريا (البُرداء) والبلهارسيا وكذلك لهجمات الحيوانات المتوحشة مثل التماسيح وأفراس النهر. كما تسببت أشغال الزراعة والبناء في تآكل العمود الفقري والمفاصل، كما أثرت الإصابات المرتبطة بالإنشاءات والحرب على أجهزتهم العضوية. استنفذت الحصى والرمل الموجودين في الدقيق المطحون تحت الحجارة الأسنان، وهو ما جعلها عرضة للخُراج وهذا رغم ندرة التسوس السني. أدى النظام الغذائي للأثرياء المتميز بكونه سُكري للغاية إلى بروز أمراض دواعم الأسنان، وبعيدا عن الرسومات التي تظهر

الشخصيات بشكل جذاب، فإن دراسة المومياوات كشف أن أصحابها يتميزون بوزن زائد سببه الحياة المفرطة. كان أمد الحياة عند البالغين حوالي 35 سنة للرجال و30 سنة للنساء، لكن كان من الصعوبة الوصول لسن البلوغ حيث كان يموت ثلث السكان في مرحلة الطفولة. بهذا، فإن البيئة المصرية كانت تحتم وجود أطباء يسهمون في حماية الأرواح وانقاذها، فبرز أطباء اشتهروا بقدراتهم العلاجية وظل بعضهم مثل "إمحوتب" مشهورين بعد فترة طويلة من وفاتهم. في هذا الصدد، أشار "هيرودوت" إلى أن الأطباء المصريون كانوا متخصصون للغاية، فبعضهم يتعامل حصريا مع الصداع وآلام المعدة، وهنالك آخرون متخصصون في طب العيون والأسنان.

كان يتم تكوين الأطباء في "بر عنخ" (بيت الحياة) وأشهرها تلك الموجودة في "بوباستس=تل البسطة" في فترة الدولة الحديثة و"أبيدوس" و"سايس" في الدولة المتأخرة. تكشف لنا البرديات الطبية المعارف التجريبية في علم التشريح، الإصابات والعلاجات التطبيقية. عولجت الجراح بضمادات تستخدم على اللحم النيئ، بالكتان الأبيض، بالخيط الجراحي، كمادات وسدادات قطنية مبللة بالعسل لمنع العدوى، بينما استخدم الأفيون لتخفيف الألم. استخدم الثوم والبصل بانتظام لتعزيز الصحة الجيدة والتخفيف من الربو. عرف الجراحون كيفية خياطة الجروح، إصلاح الكسور وبتر المرضى، لكن الإصابات الخطيرة عجز الأطباء عن تخفيف ألمها حيث تستمر معهم لغاية وفاتهم.

بالنسبة للرياضيات، فإن أولى الأمثلة الموثقة عن الحسابات الرياضياتية هي مؤرخة بفترة ما قبل الأسرات في "نقادة" وقد كان لديهم نظام ترقيم متطور إلى حد ما. تظهر أهمية الرياضيات في التعليم المصري في الأدب القصصي للإمبراطورية الحديثة حيث يقدم المؤلف مسابقة مدرسية بينه وكاتب آخر فيما يتعلق بمهام الحساب اليومي مثل حسابية الأرض، العمل والحبوب. تظهر نصوص مثل بردية "رايند" وبردية "موسكو" أن المصرين القدماء تمكنوا من إجراء العمليات الرياضياتية الأساسية (الجمع، الطرح، الضرب والقسمة)، استعملوا الكسور، حسبوا أحجام العلب والأهرامات ومساحة المستطيلات، المثلثات، الدوائر والفلكة (sphère). كما فهموا المفاهيم القاعدية في الجبر والهندسة والتي من شأنها حل أنظمة بسيطة من المعادلات. كان الترقيم المصري عشريا ويقوم على العلامات الهيروغليفية لكل قوة من عشر إلى مليون. في الهندسة، كان لدى الرياضياتيين المصريين معرفة جيدة بالمبادئ التي قامت عليها نظرية (مبرهنة) فيثاغورس، مع العلم مثلا أن المثلث له زاوية قائمة أمام الوتر عندما تكون أضلاعه في النسب 3-4-5، كما كانوا قادرين على تقدير نطاق الدائرة عبر عدة طرق أدت إلى ابتكار ثابت الدائرة "باي π " الذي هو 3.14 أو 81/256". يبدو كذلك، أن "النسبة الذهبية" كان حاضرة في العديد من الانشاءات المصرية، بما في ذلك الأهرامات، لكن من الممكن أن استخدامها كان نتيجة غير مقصودة للجمع بين استخدام العقدة مع احساس بديهي للنسب والانسجام.

الملاحق:

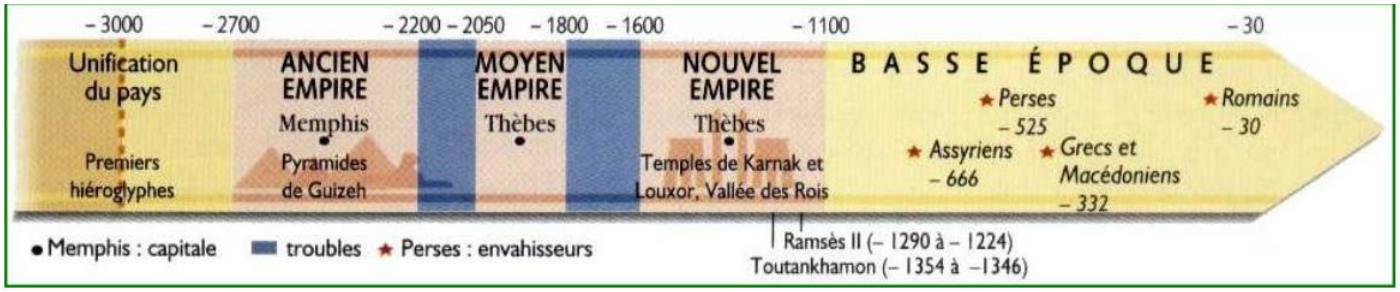

معلم زمني يُظهر التسلسل التاريخي للحضارة المصرية القديمة: في البداية نجد توحيد مصر وظهور الهيروغليفية، بعدها عصر الدولة القديمة أين شيدت أهرامات الجيزة وكانت "ممفيس" هي العاصمة. قبل وبعد الدولة الوسطى شهدت مصر اضطرابات وانقسامات سياسية ومثلت حينها "طيبة" العاصمة الأهم. في عهد الدولة الحديثة شيدت **معابد الكرنك، الأقصر وحوض الملوك** وحافظت "طيبة" على أهميتها. في الفترة المتأخرة تعرضت للغزو الآشوري، الفارسي، الاغريقي والمقدوني ثم أخيرا الروماني.

خريطة تاريخية وجغرافية وطبيعية لمصر القديمة